رسائل في الإعداد والجهاد

عبد المنعم مصطفى حليمة

" أبو بصير الطرطوسي "

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1434/3/12 هـ 2013/1/24 م

www.abubaseer.bizland.com

tartosi@tiscali.co.uk

إهداء

إلى الأحبة الأبطال من مجاهدي الشّام الأشاوس .. الذين لقّنوا الطاغوت الأسدي المجرم وجنده .. دروساً في العزة والنّزال والقتال ..!

إلى المجاهدين في سبيل الله في كل مكان .. سادة الأمة وخيرتها .. الذين يذودون عن الدين، والأعراض، والحقوق، والحرمات ... أهدي هذا الكتاب.

المحب

أبو بصير الطرطوسي

ـ مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد: هذه مجموعة من الرسائل والمقالات حول الإعداد، والجهاد في سبيل الله .. قد كتبت في أوقات متفرقة، ارتأينا جمعها ونشرها في كتاب واحد، تحصيلاً وتعميماً للفائدة .. سائلين الله تعالى التوفيق، والقبول.

وهي أربعة رسائل:

1- الإعداد أنواعه، حكمه، أهميته.

2- لماذا الجهاد في سبيل الله (الجزء الأول).

3- لماذا الجهاد في سبيل الله (الجزء الثاني).

4- هكذا كانت حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

سائلين الله تعالى القبول، وأن ينفع بها البلاد والعباد .. إنه تعالى سميع قريب مجيب، وصلى الله وسلم على سيدنا وقائدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

الإعداد أنواعه . حكمه . أهميته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد.

الإعداد: هو رفع جاهزية الفرد أو الجماعة إلى مستوى المهام الشرعية المطلوبة، الخاصة منها والعامة، ويشمل ذلك الجانب المادي والمعنوي معاً.

الإعداد المعنوي: يُعنى ببناء الفرد أو الجماعة بناءً إيمانياً، وفقهياً، وفكرياً .. يرقى بالفرد أو الجماعة إلى مستوى هذا الدين .. ومستوى أخلاقه ومهامه .. ومستوى التحديات والشبهات التي تحاك وتثار ضد الإسلام والمسلمين.

الإعداد المعنوي الذي يُعين السائرين في الطريق على تحمل تبعات المسير .. ومشاق الطريق .. مهما امتد بهم الطريق، وطال المسير.

كثير من الناس ممن يستهينون بهذا الجانب الهام من الإعداد .. تراهم يتساقطون في أول الطريق أو في منتصفه .. ويتهاوون في أصغر حُفرة تُنصب لهم!

ولأدنى فتنــة أو بــلاء يُصــيبهم .. تــراهم يرفعــون رايــات الاستسـلام والخنـوع .. والركـون إلى الظـالمين المجرمين .. ليقـدموا لهـم أسمى آيات الطاعة والولاء!

طريق الإسلام لا يعرف فترة زمنية محددة من البذل والعطاء .. ثم بعدها يلجأ الإنسان إلى الراحة والاسترخاء .. مواسياً نفسه بأنه قد قام بالواجب والمطلوب .. وعلى الآخرين أن يُكملوا عنه المسير والطريق .. كما يحلو ذلك للبعض .. لا .. طريق الإسلام ليس شيئاً من ذلك .. وإنما هو بذل وعطاء، وجهاد .. من المهد إلى اللحد!

المسلم لا يعرف الراحة الحقيقية إلا في جنان الخلد .. هذا المُستفاد من البيع والشراء الذي أخبر عنه ربنا ﷻ:﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾التوبة:111. البيع قد تم .. والشراء قد تم .. والعقد قد مضى .. لا رجوع فيه ولا انتكاس .. والله قد وفَّى وأجزل الوفاء .. ولا بد للعبد من الوفاء!

إذا عرفنا ذلك عرفنا المراد من قول النبي ﷺ:" إنما الناسُ كإبلٍ مائة لا تكاد تجدُ فيها راحلةً " متفق عليه. أي راحلة تتحمل مشاق السفر .. ووعثاءه .. وتبعاته .. وإلى نهاية الطريق!

أما الإعداد المادي: فهو يمتد ليشمل ويستحوذ على جميع أسباب القوة المادية ابتداءً ببناء الإنسان لجسمه بناءً رياضياً صحيحاً يقدر من خلاله على التكيف والاستجابة مع جميع الأجواء والمراحل التي قد يمر بها، ويتعرض لها وهو في طريقه وجهاده من أجل إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض .. لينتهي به عند الامتلاك والتعرف ـ قدر المستطاع ـ على آخر ما توصل إليه الإنسان من صناعات في مجال العتاد والسلاح ..!

أما حكم الإعداد بنوعيه الآنفي الذكر: فهو واجب، وذلك لسببين:

أولاً: لدلالة النصوص الشرعية التي تفيد الوجوب، كما في قوله تعالى:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾الأنفال:60. فقوله تعالى:﴿ وأعدُّوا ﴾ أمر يُفيد الوجوب.

وفي الحديث عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾؛ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، إلا إن القوة الرمي "مسلم.

وقال ﷺ:" مَن علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى "مسلم. وهذا وعيد يفيد الوجوب ..!

ومما يدخل في الرمي المراد من الحديث: الرمي على المسدس .. إلى البندقيــة .. إلى المــدفع .. إلى الدبابــة .. إلى الرمــي علــى الصواريخ .. فكل فنون الرماية هذه تدخل في المراد من كلمة " الرمي " الـواردة في الحـديث .. والـتي يجـب علـى المسـلم أن يـأتي منهـا مـا يستطيع ويقدر عليه!

وكـذلك قولـه ﷺ:" المؤمن القـوي خير مـن المؤمن الضـعيف وفي كلٍّ خير، واحرص على ما ينفعك "مسلم. والقوة هنا يُراد منها جانبي القوة والإعداد: المادي منها والمعنوي.

ثانياً: ومما يدل على وجوب الإعداد كذلك أنه واجب لغيره .. حيـث لا يمضـي الجهـاد إلا بـه .. ومـالا يـتم الواجـب إلا بـه فهـو واجب.

فمن أراد الجهاد لزمه الإعداد ولا بد .. ومن لم يعد للجهاد عدتـه .. فهـو كمـن ينشـد الشـيء ولا يسـعى إليـه مـن خـلال أسـبابه ووسـائله الـتي تؤدي إليـه .. وهـو كـذلك يحكـم على نفسـه بالكـذب والخداع، وأنه لا يريد الجهاد ولا أن يجاهد .. وإن زعم بلسانه ألف مرة أنه يريد الجهاد .. ويحب الجهاد والمجاهدين!

كما في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾التوبة:46.

كحال الأنظمة العربية الخائنة العميلة التي تتظاهر بالعجز والضعف أمام طغيان وظلم واعتداءات دويلة بني صهيون في فلسطين .. وأنهم لا يقدرون على المواجهة والتحرير .. وإغاثة الملهوفين المستضعفين من أبناء فلسطين!

نقول لهم: كذبتم .. ثم كذبتم ألف مرة .. لو أردتم الجهاد والتحرير .. وصدقتم في ذلك لأعددتم للخروج والتحرير عدته .. ولكن لما مضى على حكمكم عشرات السنين .. وأنتم في كل عام تزدادون ضعفاً وتعاجزاً .. وتخاذلاً .. عن العام الذي قبله .. علمنا بالضرورة أنكم لا تريدون التحرير ولا الجهاد .. بل ولا تفكرون به مجرد تفكير .. وأنكم تكذبون على أنفسكم وعلى المغفلين من شعوبكم .. عندما ترفعون شعارات التحرير .. والصمود والتصدي!

فإن قيل: على من يجب الإعداد ..؟

أقول: يجب الإعداد على كل من يجب عليه الجهاد ..!

فإن قيل: ما حد الإعداد الذي يجب تحقيقه ..؟

أقول: حد الإعداد ينتهي عند حدود أعلى درجات الطاقة، والاستطاعة، والقدرة التي يتمتع بها الإنسان؛ إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وكما قال تعالى:﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾. فكل امرئٍ مطالب بأن يعد للجهاد عدته على قدر استطاعته، وما يقدر عليه؛ فإن كان ـ مثلاً . يستطيع أن يعد بمائة دينار ثم أعد

بخمسين دينار فهو آثم بخمسين؛ وهو الفارق بين الخمسين والمائة .. ومن كان قادراً على أن يعد للجهاد بندقية أو رشاشاً ثم أعد مسدساً فهو آثم على قدر الفارق بين المسدس والرشاش .. ومن كان قادراً على الإعداد بماله وبدنه فأعد بماله دون بدنه فهو آثم على تفريطه الإعداد ببدنه .. وهكذا!

قال سيد قطب في الظلال **1543/3**: فالاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد، والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها.

فهي حدود الطاقة إلى أقصاها .. بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سببٍ من أسباب القوة يدخل في طاقتها ا– هـ.

وتأتي أهمية الإعداد إضافة إلى كونه سبباً لا يمضي الجهاد إلا به .. أنه الأداة التي تُرهب العدو، وتمنعه من التجاسر على الاعتداء والتعدي.

فالعدو عندما يعلم أن للمسلمين قوة تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم وحرماتهم .. وحقوقهم .. لا يتجرأ على الاعتداء .. وتراه يفكر ألف مرة .. ويحسب ألف حساب بعواقب الأمور عليه .. قبل أن يخطو أية خطوة نحو الاعتداء!

أما إن أدرك وتيقن أن المسلمين ليس لهم تلك القوة الرادعة .. التي بها يُدافعون عن أنفسهم وحرماتهم، ومقدساتهم .. ترى الجميع

يتجرأون عليهم .. ويتطاولون عليهم وعلى حرماتهم .. وعلى صفعهم متى شاءوا .. ومن دون أن يحسبوا لهم أدنى حساب .. وما أكثر الشواهد الدالة على ذلك في هذا الزمان!

ما من أمة أو دولة إلا ولها القدر الكافي من الإعداد والقوة .. والسلاح .. كسورٍ أمني تحمي به نفسها ودولتها من اعتداءات الآخرين .. إلا المسلمين .. لا يجوز أن تكون لهم دولة .. ولا سوراً أمنياً يحميهم .. بل ولا قوة يُدافعون بها عن أنفسهم، وحقوقهم، وحرماتهم!

ما من أمة من الأمم المعاصرة إلا وتجد بيوتها محصنة مصانة، مقفلة الأبواب أيما إقفال .. إلا أمة الإسلام يجب أن تبقى بيوتها مشرعة الأبواب .. لا أقفال لها ولا حصانة .. سهلة المنال لمن تُطاوعه نفسه على النيل منها .. أو التسوّر عليها .. أو التغوط فيها ..!

فما هو حلال لهم .. حرام على أمة الإسلام .. وما كان حقاً لهم .. كان باطلاً وحراماً على غيرهم ..!

هذه هي عدالة الأمم الطاغية الكافرة .. وهذه هي شريعة التسابق على التسلّح في هذا الزمان .. وهذا الذي يريدونه من الإسلام والمسلمين!

ولكن أنّى لهم أن يتحقق مرادهم هذا .. مادام قول الله تعالى:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾الأنفال:60. يقرع ويلاحق عقول وضمائر المسلمين على مدار الأوقات والساعات .. يستحثهم على النهوض والقيام .. ونفض غبار الذل والهوان .. وعلى الإعداد والاستعداد!

أمة الإسلام تغفو .. لكنها لا ولن تموت ..!

أمة الإسلام . في حربها مع الباطل . قد تخسر معركة من المعارك .. لكن لا تخسر الحرب كلها.

أمة الإسلام تكبو .. لكن سرعان ما تنهض لتستأنف المسير .. ولتباشر دورها الريادي في قيادة ورعاية الأمم والشعوب، كما قدّر الله لها أن تكون:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾آل عمران:110.

أمة الإسلام .. قد يتعثر عطاؤها في مرحلة من المراحل .. لكنه لا يتوقف .. وإلى الأبد .. وهاهي بشائر النصر، والخير، والعطاء .. التي تظهر هنا وهناك .. تُصدق ذلك كله .. وتبشر بفجرٍ جديدٍ قريبٍ للأمة، ولسائر الأمم والشعوب إن شاء الله.

قـال رسـول الله ﷺ:" إن الله زوى ــ أي جمـع وضـمَّ ــ لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها " مسلم.

وقال ﷺ:" ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدَرٍ ولا وبَرٍ إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيزٍ أو بذلِّ ذليل، عزاً يعزُّ الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر ".

وهذا أمر كائن ولا بد .. ولتعلمنَّ نبأه ولو بعد حين .. والحمد لله رب العالمين.

* * * * *

لماذا الجهادُ في سبيلِ اللهِ ..؟

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمدُه ونستعينه ونستهديه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللهُ فلا مُضلَّ له ومن يُضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنه قد جاهد في سبيل الله حق جهاده حتى أتاه اليقين .. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم .

وبعد: فإن كثيراً من الناس ـ على اختلاف مقاصدهم ونواياهم ـ يتساءلون: لماذا خيار الجهاد في سبيل الله، وليس دونه ..؟!

والذين يسألون هذا السؤال هم أصناف ثلاثة:

1- فريق منهم يطرح هذا السؤال استرشاداً وطلباً للحق ليلتزموه .. وهؤلاء لا حرج عليهم إن شاء الله.

2- وفريق آخر يطرح هذا السؤال مشككاً في جدوى هذا الطريق ونتائجه .. مظهراً نوع شفقة على المسلمين وعلى حرماتهم، على اعتبار أن هذا الطريق من لوازمه الوقوع في الفتنة ـ ألا في الفتنة سقطوا ـ وتعريض المسلمين لأن تسفك دماؤهم وتُنتهك حرماتهم .. وكذلك تعريض الأوطان للدمار والخراب .. لذلك فهم في المقابل لا

يترددون في أن يطرحوا نظرياتهم وبدائلهم ـ التي هي من عند أهوائهم وأنفسهم ـ عن هذا الطريق؛ طريق الجهاد في سبيل الله ....!

3– وفريق ثالث خبثت طويته، وساء مقصده .. يطرحون هذا السؤال من قبيل الطعن والاستخفاف بمبدأ الجهاد .. وعلى أنه خيار إرهابي غير متحضر لا يناسب زماننا المعاصر .. ويتمثل هذا الفريق في موقف المنافقين والعلمانيين على اختلاف مدارسهم ومذاهبهم الباطلة ..!

وهذا الفريق العلماني الكافر ـ بحكم الوسائل المتاحة له ـ قد ترك أثره الكبير على تفكير ومعنويات كثير من المثقفين الإسلاميين .. مما حدا بالآخرين أن يقفوا موقف المدافع عن مبدأ الجهاد في سبيل الله وبطريقة مشوهة وغير لائقة؛ وكأن الجهاد تهمة مشينة تحتاج إلى من يدافع عنها .. أو يوجد لها المبررات والمسوغات!

فهم تارة يطرحون مبدأ الجهاد ويحصرونه في معنى الدفاع عن الأوطان .. والأوطان التي تُغزى تحديداً من عدو خارجي .. أما الأوطان التي تُغزى من الأعداء الداخليين ـ الذين يكونون في الغالب هم أشد عداوة للأمة والأوطان من الأعداء الخارجيين، ومن مسيلمة الكذاب أيام الصدّيق ﷺ ـ لا يجوز أن يُعمل بالجهاد مع هؤلاء الصنف من الأعداء ..!

وتارة يحصرونه في جهاد الكلمة أو النفس .. وتارة في التنقل بين المساجد والمبيت فيها على طريقة إخواننا التبليغيين .. وتارة .. وتارة .. فتوسعت الهوة بين هذا الدين العظيم كما أوحاه الله تعالى على عبده ونبيه محمد ﷺ .. وبين مستوى الالتزام به من قِبل كثير من الناس في زماننا المعاصر .. فانعكس ذلك على الأمة سلباً وذلاً وهواناً، وضياعا ..!

لأجل ذلك كله نجد لزاماً في أن نجيب عن هذا السؤال الهام والكبير بشيء من التفصيل والبيان: لماذا الجهاد في سبيل الله ..؟

ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة .. مستلهماً من الله تعالى وحده السداد والعون والتوفيق.

فأقول: لا خيار للأمة ـ إن أرادت أن تحيى، وتسترد عافيتها، وتستأنف حياتها الإسلامية من جديد ـ إلا خيار وطريق الجهاد في سبيل الله وفق ما أمر الله تعالى وشرع .. رضي من رضي وسخط من سخط؛ وذلك لأسباب عدة نذكر أهمها في النقاط التالية:

أولاً: لأن الله تعالى أمرنا بالجهاد .. فارتضاه لنا طريقاً إلى العزة والنصر والتمكين .. فهو قدر هذه الأمة، لا فكاك لها منه، أو التنكب عنه .. فليس للمؤمن ـ وهو يُسمى مؤمناً ـ أن يرتضي لنفسه ولأمته شيئاً بخلاف ما ارتضاه الله تعالى لعباده إلا إذا آثر الكفر على الإيمان، والخروج عن مسمى الإيمان اسماً وحكماً.

والأدلة على ذلك أكثر من أن تُحصر في هذا الموضع، نذكر منها قوله تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾البقرة:216.

فقوله تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ أي فُرِض .. وهو كقوله تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾البقرة:183. من حيث دلالة الوجوب .. فكما أن الصيام فرض وكتب على المؤمنين كذلك القتال والجهاد في سبيل الله فهو فرض وكتب على المؤمنين.

والأمة عندما تستقبل الأمر بالقتال والجهاد كما تستقبل الأمر بالصيام .. وتستعد وتفرح للأول كما تستعد وتفرح للثاني .. فحينئذٍ استبشروا بالفتح وبنصر من الله قريب .

ومما يستغرب له، ويشتد له العجب .. أن الأمة لا تقبل من أحد ـ أياً كان وصفه أو كانت مكانته ـ أن يجادلها في شرعية ووجوب ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ بينما نراها لا تحرك ساكناً، ولا تبدي اعتراضاً عندما ينبري من ذوي النفوس المريضة المشبوهة من يشكك في شرعية ووجوب ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ علماً أن كلا الآيتين لهما نفس الدلالة من حيث الأمر والوجوب .. ؟!

وقال تعالى:﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ الأنفال:39.

وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ . إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ التوبة:**38–39**.

وقال تعالى:﴿ انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ التوبة:**41**.

وقال تعالى:﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ التوبة:**111**.

وهذا بيع قد تم لا يجوز لمؤمن ـ ما دام مؤمناً ـ أن يتخلف عنه وعن تبعاته .. أو يتنكّر له .. وقوله تعالى:﴿ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ من صيغ العموم التي تفيد جميع المؤمنين من دون استثناء .. فمن أراد أن يخرج عن عقده وما تم بيعه فهو بذلك يخرج عن كونه من المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم يَقتلون ويُقتَلون، وهم قد رضوا بالبيع مقابل جنة عرضها السماوات والأرض.

وقال تعالى:﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ التوبة:29.

وقال تعالى:﴿ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة:36.

وغيرها كثير من الآيات التي تفيد وجوب الجهاد في سبيل الله .. وأنه المنهج الحق الذي ارتضاه الله تعالى لعباده لا مناص لهم من تنكبه أو التفلت منه ومن تبعاته إلا وهم مرتكبون الوزر والإثم، حاكمين على أنفسهم بالذل والهوان والضياع والعذاب ..!

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ مئات الأحاديث التي تحض على الجهاد، وتأمر به، وتلزم به الأمة .. وتحذر من تركه أو الغفلة عنه إلى ما سواه من الطرق الأخرى الملتوية عن الصراط المستقيم، من تلك الأحاديث النبوية، قوله ﷺ:" أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله " البخاري.

وقال ﷺ:" بُعثت بين يدي الساعة بالسيف، حتى يُعبد الله تعالى وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذل

والصغار على من خالف أمري "[1].

وقال ﷺ:" واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف " البخاري.

وقال ﷺ:" من مات ولم يغزُ، ولم يحدّث به نفسه مات على شعبة من نفاق " مسلم.

وقال ﷺ:" من لم يغز، أو يجهز غازياً، أو يخلف غازياً في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة "[2].

فالمؤمن لا يجوز له إلا أن يكون واحداً من ثلاث: إما أن يكون غازياً في سبيل الله، وإما أن يخلف غازياً في أهله بالخير، وإما أن يجهز غازياً في سبيل الله .. فإن لم يكن واحداً من هؤلاء فلينتظر قارعة تنزل بساحته ـ لا يعلم ماهيتها وحجمها إلا الله ـ قبل يوم القيامة ..!

وقال ﷺ:" رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يومٍ فيما سواه من المنازل "[3].

وقال ﷺ:" الغدوة والروحة في سبيل الله أفضل من الدنيا وما فيها " متفق عليه.

---

[1] أخرجه أحمد وغيره، صحيح الجامع:**2831**.

[2] صحيح سنن أبي داود: **2185**.

[3] صحيح سنن النسائي:**2971**.

وقال ﷺ:" من اغبرت قدماه في سبيل الله فهو حرام على النار "[4].

قلت: كيف بمن يعلو الغبارُ وجهَه .. ويُلامس شغاف قلبه .. إنها الجنان والدرجات العلا وربِّ الكعبة؟!

وقال ﷺ:" عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى؛ فإنه باب من أبواب الجنة يُذهب الله به الهمَّ والغمَّ "[5].

وعن سلمة بن نفيل الكندي، قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله، أذال الناس الخيل . أي استخفوا بها وتركوها . ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها ! فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال:" كذبوا، الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق ويُزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة "[6].

وقال رسول الله ﷺ:" والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني،

---

[4] صحيح سنن النسائي: **2919**.

[5] أخرجه الحاكم وغيره، السلسلة الصحيحة: **1941**.

[6] صحيح سنن النسائي: **3333**.

والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل، ثم أغزو فأقتل " مسلم.

وقال ﷺ:" ولأن أُقتلَ في سبيل الله أحبُّ إلي من أن يكون لي أهل الوبَرِ والمدَرِ "[7].

هذا قليل من كثير مما ثبت عن سيد الخلق وإمام المجاهدين ﷺ في الحض على الجهاد في سبيل الله والترغيب به .. ولو طالَبنا المخالفون بأن نأتيهم بألف دليل ودليل من الكتاب والسنة على مشروعية هذا الطريق المبارك لسهل علينا ـ بإذن الله ـ أن نأتيهم بما طلبوا .. ولكن لو طالبناهم بدليل واحد ـ من الكتاب أو السنة ـ على مشروعية ما هم عليه من الطرق والمناهج المنحرفة لعجزوا أن يأتونا بذلك .. ولرأيتهم يلوون أعناقهم ويلتجئون إلى المتشابهات والعموميات وليس لهم فيها أدنى حجة أو دليل ..!

ثم نقول لهؤلاء المخالفين إن قدرتم على تحريف نص أو نصين عن ظاهرهما ودلالتهما.. فأنى لكم بتأويل وتحريف آلاف النصوص الشرعية التي تحض وتأمر بالجهاد في سبيل الله ..؟!

كذلك كيف يليق بكم ـ وأنتم تُظهرون حرصكم على نصرة هذا الدين ـ أن تصرفوا نظركم عن هذه النصوص على كثرتها، وتجعلوها وراءكم ظهريا وكأنها لم تكن، والله تعالى ـ بكبريائه وعظمته

---

[7] صحيح سنن النسائي:2955.

وأسمائه الحسنى وصفاته العلا . يخاطبكم بها وكل المؤمنين .. ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾البقرة:216. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾المائدة :54. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً ﴾النساء:71. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾التوبة:38. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾التوبة:123. ألستم من الذين آمنوا الذين تعنيهم هذه الآيات وغيرها .. ألستم من الذين آمنوا الذين يخاطبهم الله تعالى ..؟!

ثانياً: لأن في الجهاد حياة .. حياة حقيقية لمعاني العزة والكرامة .. حياة حقيقية لإنسانية وآدمية الإنسان .. حياة حقيقية لحرمات الإنسان من الانتهاك أو أن تكون عرضة لأطماع وأحقاد الوحوش الآدمية الفاجرة ..!

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾الأنفال:24. أي لما فيه سبب حياتكم الحقيقية

.. حياة القلوب والأبدان معاً، ومما دعانا إليه النبي ﷺ الجهاد في سبيل الله.

وفي قوله تعالى:﴿ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ قال ابن الزبير: أي للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد الذل وقواكم بها بعد الضعف، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم ا– هـ.

وقال ابن إسحاق، وابن قتيبة: هو الجهاد الذي يحيي دينَهم ويُعليهم .. ا– هـ.

وقال تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾البقرة:179. أي حياة حقيقية آمنة وسالمة من الإجرام والاعتداءات على حرمات وحقوق الإنسان .. والقِصاص جزئية تدخل في معنى الجهاد في سبيل الله.

وقال تعالى:﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه ﴾الأنفال:39. والفتنة كل ما يُضاد الحياة الحقيقية السوية الخالية من الفتن والخراب والفساد .. والشرك .. فإذا استؤصلت الفتنة من المجتمعات .. تحققت الحياة الحقيقية التي ملؤها الخير والسلامة للجميع .. والفتنة . بخاصة إذا كانت ممتنعة بقوة السلاح . لا يمكن استئصالها إلا بالجهاد والقتال كما أمر الله تعالى.

وقال تعالى لما أمر بالجهاد والقتال:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾البقرة:216.

وفي سورة التوبة:﴿ انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾التوبة:41. والخيرية هنا تشمل خيري الدنيا والآخرة .. تشمل الحياة الحقيقية التي ينبغي أن يعيشها الإنسان .. وإن كانت هذه الحقيقة الساطعة ـ بسبب من عند أنفسنا ـ قد لا نعلمها بادئ ذي بدء، فإن الله تعالى يعلمها، كما قال تعالى:﴿ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾البقرة:216.

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره، قال ﷺ:" مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قومٍ استهموا ـ أي اقترعوا ـ على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذِ مَن فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً ". أي إن أخذوا على أيدي أهل الباطل والفساد والشر بالجهاد والإنكار .. نجوا، ونجوا جميعاً، ونجت معهم البلاد والمجتمعات من الغرق والضياع .. من كل ما يدخل في معاني الهلاك .. وكل من ينجو من مطلق الهلاك تحققت له ولا بد الحياة الحقيقية في الدنيا والآخرة.

وإذا كان في الجهاد حياة حقيقية فإن من لوازم تركه العذاب والحياة الضنك وتحقيق الموت الحقيقي للبلاد والعباد .. موت حقيقي لمعاني الحرية والعزة والكرامة ..!

ما قيمة الأجساد إذا كانت تدب على الأرض .. وجميع الحرمات ومعاني إنسانية الإنسان تنتهك وتُقتل ..؟!

قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾طه:124. ومن الذِّكر المنزل في القرآن الكريم الجهاد في سبيل الله ..

وقال تعالى:﴿ إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾التوبة:39. والعذاب هنا يشمل عذابي الدنيا والآخرة .. عذاب الدنيا لما يترتب على ترك الجهاد وتسليم الأعناق والحرمات لرحمة الطواغيت .. وعذاب الآخرة بسبب عصيان أمر الله تعالى بجهاد الطواغيت الظالمين.

مصداق ذلك في السنة قوله ﷺ:" ما ترك قوم الجهادَ إلا عمهم الله بالعذاب "[8].

وقال ﷺ:" إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم "[9]. أي ترجعوا عما كان سبباً في ذِلّكم .. وهو ترك الانشغال بما تقدم ذكره في الحديث عن الجهاد في سبيل الله .. فسمى

---

[8] أخرجه الطبراني، السلسلة الصحيحة:2663.

[9] أخرجه أبو داود وغيره، السلسلة الصحيحة:11.

الله تعالى الجهاد بالدين .. فمن ترك الجهاد فقد ترك الدين .. ومن رجع إلى الجهاد رجع إلى الدين!

وقد تقدم قوله ﷺ:" من لم يغز، أو يجهز غازياً، أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة ". قارعة .. الله أعلم بحجمها ونوعها ..!

وقال ﷺ:" يوشك الأمم أن تداعى عليكم . أي تجتمع وتتكالب .كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذٍ ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، فقال: يا رسول الله وما الوهن ؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت "[10].

صدق رسول الله ﷺ .. فأي هوان وأي ذلٍّ تعيشه أمة الإسلام في هذا الزمان بسبب تركها للجهاد .. فحيثما التفت وتوجهت تجد معالم ذلك الذل والهوان بادية على وجوه وحياة الناس .. إلا في بقاع قليلة من الأرض شُرع بها الجهاد في سبيل الله، أبى أهلها الضيم والذل والهوان، والركون إلى الطواغيت الظالمين!

فإن قيل كيف يكون في الجهاد حياة ويترتب عليه ما يترتب من القتل والقتال وحصول الجراحات وغير ذلك من الآلام ..؟!

---

[10] أخرجه أبو داود وغيره، السلسلة الصحيحة:**958**.

أقول: نعم، رغم ما ذُكر فإن في الجهاد حياة وذلك من وجهين:

ألهما: من حيث تقليل نسبة الخسائر التي يمكن أن تصيب الأنفس والأموال والحرمات .. فإذا كان في الجهاد تقتل بعض الأنفس، وتتحقق بعض الخسائر أو الجراحات .. فإن ضريبة ترك الجهاد في سبيل الله، والخلود إلى الأرض والذل .. هي أضعاف أضعاف ما يمكن أن يتحصل بسبب الجهاد .. فيكون في الجهاد حياة للفارق بين ما يُعد ضريبة للجهاد وبين ما هو ضريبة لترك الجهاد والركون إلى الأرض وحب الدنيا .. وهو فارق ضخم جداً!

ولتوضيح الصورة أكثر نضرب المثال التالي: في حال آثرت الشعوب الجهاد يُقتل منها مثلاً عشرة أنفس .. وفي حال آثرت ترك الجهاد .. يُقتل منها مائة نفس .. فيكون في اختيارها لطريق الجهاد حياة حقيقية لتسعين نفس ـ كان موتها محقق في حال ترك الجهاد ـ وهو الفارق بين ضريبة وتبعات الجهاد وبين ضريبة ترك الجهاد .. وهذا مثال ضربناه لتقريب الصورة إليك يمكنك القياس عليه عند الحديث عن الحرمات التي يمكن أن تنتهك في مواطن الجهاد .. والحرمات التي تنتهك في مواطن الاستسلام والركون إلى الأرض وترك الجهاد[11].

---

[11] كان من قبل يكفي جندي واحد من جنود الطاغية بشار الأسد أن يذل ويرعب قرية بكاملها، وينتهك حرمات أهلها، ومن دون أدنى مقاومة، وبعد أن

أما ثانياً: ففي الجهاد حياة لمعانٍ لا تقل قيمة عن الأنفس والأرواح .. حياة لمعاني الحرية، والعزة، والكرامة، والشرف .. لا طعم للحياة من دونها .. ولا قيمة للأجساد التي تدب على الأرض من دونها .. وهذه معانٍ لا تُستجدى من الآخرين .. ولا يمكن أن تحي وتتحقق من دون الجهاد في سبيل الله!

فالجهاد حياة حقيقية من هذا الوجه .. فتفطن لذلك !

وهو . أي الجهاد . إضافة إلى جميع ما تقدم مؤداه إلى حياة الخلود والنعيم في الجنان قبل يوم القيامة، وبعد قيامها كما قال تعالى:﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾آل عمران:**169-170**.

وقال تعالى:﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾ البقرة:**154**.

نفض أهل الشام الذل عن أنفسهم، وشرعوا بالجهاد في سبيل الله .. أصبح جيش الطاغوت بكامله يعجز عن دخول أكثر من **60%** من الأراضي السورية .. وتحرير بقية المدن والقرى من هيمنة وحكم الطاغوت قائم ومستمر، بإذن الله.

ثالثاً: لأن الجهاد في سبيل الله هو الدعوة الصادقة والوسيلة الحقيقية لتحقيق السلام في الأرض .. وبيان ذلك أن الله تعالى فطر الخلق على سُنة ثابتة ماضية ـ لا يمكن لأحدٍ مهما أوتي من قوة أو نفوذ أن يلغيها أو يغيرها ـ لا تتغير ولا تتبدل إلى يوم القيامة؛ وهي سنة التدافع بين الحق وأهله من جهة وبين الباطل وأهله من جهة أخرى .. فالباطل ـ منذ أن وجد ـ بكل تجمعاته وتكتلاته يعمل جاهداً على استئصال الحق من الوجود وبسط نفوذه عليه، وتحقيق السلام في الأرض على طريقته الباطلة الظالمة .. وكذلك الحق بكل تجمعاته لا يألو جهداً في تحجيم الباطل وكسر شوكته .. وفرض السلام في الأرض على طريقته العادلة.

فلو قُدر للباطل أن يبسط نفوذه على بقعة من بقاع الأرض فهل تراه قادراً على تحقيق السلام العادل فيها .. أو أن ينصف الحق وأهله من نفسه؟!

الجواب: لا .. لماذا ؟

ذلك لسببين، أولهما: لا يوجد للباطل قانون عادل ثابت يُلزم به أهله وأتباعه في السخط والرضى .. في القوة والضعف .. في السلم والحرب .. الذي يمنعهم من التمادي في ظلم العباد والمخالفين .. مما يحملهم على أن يشرعوا لأنفسهم وللآخرين القوانين التي تلبي نزواتهم وأهواءهم، وأحقادهم .. والتي مؤداها إلى ظلم الآخرين

وهضم حقوقهم ووجودهم .. فهم ـ أي أهل الباطل ـ لا يتورعون في أن يصدروا القوانين أو يغيروا بها ـ وقت يشاءون ـ لما يخدم مصالحهم ومآربهم الخاصة وإن أدى ذلك إلى هضم وسحق الشعوب الأخرى!

ولو وجدوا في مرحلة من المراحل أن قوانينهم ـ التي هي من عند أنفسهم وأهوائهم ـ لا تلبي رغباتهم، وأطماعهم، وأحقادهم .. فالأحبار والرهبان من دهاقنة الساسة جاهزون لسن القوانين التي ترقى إلى درجة تلبية الرغبات والأطماع والأحقاد .. والتي سرعان ما تتحول قوانينهم الجائرة إلى مستوى القانونية أو الشرعية الدولية التي يجب على الشعوب المقهورة المسلوبة الحقوق أن تحتكم إليها وترضى بها وبتبعاتها .. والويل كل الويل لمن يخالفها أو يعترض عليها[12]!

---

[12] لتعرف حقيقة ذلك تأمل القوانين الجائرة الصادرة عن الأمم المتحدة، التي وراءها قوى الاستكبار العالمي أمريكا ومن دار في فلكها من دول الغرب الصليبي .. كيف تبيح للمغتصب الظالم بأن يغتصب حقوق الآخرين كما هو حاصل في فلسطين .. وفي الشيشان .. وفي أفغانستان .. وفي العراق .. وفي سوريا .. وفي كشمير وغيرها من البلدان والأمصار .. كل ذلك يمرر بعد أن تصدر القوانين ـ وما أسهل إصدارها على مصاصي الدماء من الأحبار والرهبان ـ التي تبيح هذا الاغتصاب .. وهذه الانتهاكات .. لتصبح فيما بعد هي الحق الذي لا يجوز التعقيب عليه .. وخلافها من الحق هو الباطل الذي يُعد الهمس به من الإرهاب!

فالباطل الذي لا يملك الميزان الثابت العادل .. لا يمكن، بل لا يسمح للآخرين أن يتعاملوا معه بسلام ومن غير بغير صدام .. وبالتالي فهو غير مؤهل بأن يحقق السلام العادل في الوجود!

السبب الثاني: فقد تضافرت أدلة النصوص الشرعية وكذلك أدلة الواقع المعايش على أن الباطل بكل تجمعاته ومذاهبه لا يمكن أن يرضى عن الحق وأهله، أو أن تهدأ مطاردته وملاحقته لهم .. إلا بأحد خيارين: إما أن يرتد الحق عن حقه ليدخل في دين الباطل ومذاهبه .. وإما خيار القتل والتشريد والاستئصال إن قدروا على ذلك!

قال تعالى:﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ البقرة:**217**. وقوله تعالى:﴿ وَلاَ يَزَالُونَ ﴾ يفيد الاستمرار والمواصلة على القتال ما داموا قادرين على ذلك .. والغرض من هذا القتال أن يردوا أهل الحق عن حقهم ودينهم ليدخلوهم في باطلهم ودينهم ..!

وقال تعالى:﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ التوبة:**8**. أي إن علا سلطانهم على أهل الحق لا يُراعون فيهم حرمة القرابة، ولا حرمة ما بينهم من العهود والمواثيق، ولا يمنعهم عن سفك

الدم الحرام أو انتهاك الحرمات شيء من ذلك .. ومن كان كذلك لا يمكن أن يحقق السلام، أو أن يكون مؤهلاً لتحقيق السلام مع الآخرين ..!

وقال تعالى:﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾البقرة:120. فلن الواردة في الآية الكريمة تفيد نفي الحاضر والمستقبل .. أي مهما حاول أهل الحق أن يسترضوا اليهود والنصارى عنهم فلن يُفلحوا إلا بشرط واحد: وهو اتباع ملتهم والدخول في دينهم وباطلهم ..!

والآية تفيد كذلك أن رضى اليهود والنصارى عن المسلم مؤشر صريح على انحراف المسلم عن جادة الحق والصواب إلى الباطل الذي هم عليه .. فحيثما يظهر رضى القوم عن المسلم فعليه أن يتهم نفسه، وأن يُراجع دينه، وينظر أين هو من الحق!

وقال تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ إبراهيم:13. فقوله تعالى﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ .. ﴾ يفيد الاستغراق؛ أي جميع الذين كفروا على مدار الزمن وإلى يوم القيامة يقولون للرسل وأتباعهم المؤمنين ﴿ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ .. ومن كان هذا وصفه وديدنه فأنى له أن يحقق السلام في الأرض ؟!

ونحو ذلك قوله تعالى عن فتية أهل الكهف:﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً ﴾ الكهف:**20**. وغيرها كثير من الآيات القرآنية الكريمة التي تفيد هذا المعنى.

وفي الحديث فقد أخرج البخاري وغيره أن النبي ﷺ لما أخبر ورقة بن نوفل خبر ما رأى من الوحي، قال له ورقة: هذا الناموس ـ أي جبريل عليه السلام ـ الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً ـ أي شاباً قوياً ـ ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟! فقال: نعم، لم يأتِ رجل بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.

هذه أدلة النصوص الشرعية .. أما أدلة الواقع الملموس والمشاهد فحدث عنها ولا حرج؛ فما أكثر تلك الديار وأولئك الشعوب التي تنتهك حرماتهم صباح مساء بسبب أنهم لم يدخلوا في طاعة القوم أو في دينهم ..؟!

فانظر ماذا حصل ويحصل في فلسطين .. وماذا حصل في البوسنة والهرسك .. وفي كوسوفو .. وماذا يحصل في هذه الأيام في سوريا .. وفي الشيشان .. وفي الفلبين .. وفي أندونيسيا .. وفي الصين .. وفي كشمير .. وفي أفغانستان .. وفي العراق .. وفي السودان ..

وفي أرتيريا .. وفي لبنان .. وفي الصومال .. وغيرها كثير من البلدان ..!

ما يحصل في تلك الديار وغيرها من ممارسات وتصفيات وحصارات، ومؤامرات .. وانتهاكات للحقوق والحرمات .. لهو أكبر دليل على أن القوم لا يُحسنون صنعة السلام .. إلا سلام الأسياد مع العبيد .. العبيد الذين لا يحق لهم ـ في قوانين الأسياد ـ إلا أن يمتهنوا صنعة الركوع والسجود والطاعة للأسياد ولقوانينهم ..!

هذا هو سلام الباطل .. فسلامه غدر وحرب وقتل وقتال .. وهضم ونصب للحقوق والحريات .. ومن كان كذلك فهو غير مؤهل لرعاية عملية السلام .. ولا لبسط وتحقيق السلام .. لأنهم هم أنفسهم يفقدون السلام .. وفاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه للآخرين!

إذا كان هذا هو سلام الباطل .. فهل الحق قادر على تحقيق السلام العادل .. وهل هو قادر على إنصاف الآخرين ـ ولو كانوا من أهل الباطل ـ من نفسه .. أو يحقق لهم الأمن والسلام؟!

الجواب: نعم .. لماذا؟

لأن الحق يملك القانون العادل الثابت الذي يُعرفه ما له وما عليه .. القانون الذي يلتزمه في السر والعلن .. في السخط والرضى .. في السلم والحرب .. وليس له أن يخرج قيد أنملة عن هذا القانون إلا إذا آثر أن يخرج عن كونه ووصفه بأنه الحق أو من أهل الحق!

هذا القانون هو " حكم الله تعالى " الذي لا يتغير ولا يتبدل، والذي لا يُحابي مخلوقاً على حساب مخلوق .. فكل الناس أمامه سواء .. الغالب والمغلوب .. الضعيف والقوي .. السيد والوضيع لا فرق بينهم أمام حكم الله .. فلكل له وعليه .. وعلى الجميع أن يلتزموا بما لهم وما عليهم .. بحسب ما يقضي الله تعالى في حكمه وشرعه!

وهذا من أكبر العوامل التي تعين على تحقيق السلام في الأرض .. إذ أن الآخرين يعرفون قبل أن يدخلوا في السلم مع الحق وأهله ما لهم وما عليهم .. إنهم جميعاً أمام قانون واحد لا يمكن أن يتغير ولا أن يتبدل بحسب الأهواء والمصالح .. فهو لا يخضع لمزاج السلاطين أو الحكام ولا لسياساتهم .. كما لا يجوز أن يخضع لرغبات ونزوات الشعوب المنتصرة الغالبة .. كما هو الحال عند الباطل وأهله!

فهم عندما يدخلون في سلم الحق لن يكونوا عبيداً للعبيد .. ولا خاضعين لسلطة العبيد كما هو الحال عندما ينتصر الباطل في موقعة من المواقع .. وإنما هم في حقيقة أمرهم داخلون في الطاعة العامة لله ﷻ .. وفي العبودية العامة للخالق ﷻ .. وفي السلم العام الذي شرعه الله تعالى للعباد .. وهذه عبودية تشريف لا انتقاص فيها من قدر المخلوق أو العباد[13].

---

[13] العبادة نوعان: عباد شرعية دينية أو عبادة خاصة .. وهذه عبادة لا إكراه فيها إن أبى الإنسان الكافر أن يدخل فيها .. وهو المراد من قوله تعالى:﴿ لا

من قوانين الحق التي يلتزم بها المسلمون حكاماً ومحكومين قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ ﴾ المائدة:1. وقوله تعالى:﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ النحل:91. وقوله تعالى:﴿ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ النحل:95. وقوله تعالى:﴿ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴾ الإسراء:34. فهي نصوص تلاحق ضمير وأخلاق المؤمن أينما ذهب أو حل وأقام .. تمنعه من أن يفكر ـ مجرد التفكير ـ في الغدر أو الخيانة أو نقض العهد مهما كانت تكاليف وتبعات الالتزام بالعهد أو العقد الذي يعطيه المؤمن للآخرين[14].

إكراه في الدين ..﴾؛ أي لا إكراه على الدخول في العبادة الشرعية الدينية .. وعبادة كونية قدرية أو عبادة عامة؛ وهي عبادة الدخول في الطاعة العامة لحكم الله ﷻ .. والانقياد العام لسلطة شرع الله ﷻ .. وهذه عبادة لا مناص لأحدٍ من العباد أن يتخلف عنها أو لا يدخل فيها .. فإن أبوا إلا القتال قوتلوا عليها .. وهو المراد من قوله تعالى:﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي حتى تكون الطاعة والخضوع كله لله وحده .. وليس لسلطان، أو شعب منتصر .. فإن أتوا بالعبادة العامة والطاعة العامة لحكم الله تعالى وسلطانه .. فليدخلوا بعدها في العبادة الدينية الخاصة التي يشاءون .. وحسابهم على الله.

[14] مما يذكره لنا التاريخ: أن أبا عبيدة بن الجراح ﷺ كان قد صالح نصارى

ثم تأمل انسحاب الصهاينة اليهود الصوري من أراضٍ لا حق لهم فيها في فلسطين .. كيف يكون بالشبر والفِتر .. ولو انسحبوا شبراً، استولوا بعده متراً ليبنوا عليه مستوطناتهم .. وذلك كله بعد العهود الكثيرة الكاذبة والمتراكمة عليهم منذ عقود قد أعطوها للآخرين ..!

وقد تقدم معنا حديث السفينة، وفيه قوله ﷺ:" فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً "؛ أي إن تركوا لأهل الباطل الحرية في قيادة السفينة والمجتمعات، أو أن يفرضوا سلامهم الباطل كما يحلو لهم فقد هلكوا جميعاً: الصالحين والطالحين .. وغرقت بهم السفينة، وهلكت البلاد!

وإن أخذوا على أيديهم ـ بالجهاد والقتال ـ ومنعوهم عن

الروم على مدينة دمشق، وكان خالد بن الوليد لم يعلم بصلح وعهد أبي عبيدة مع نصارى الروم .. فافتتح دمشق عنوة من جهة الباب الشرقي للمدينة .. ولما ذكر النصارى ذلك لعبيدة ردّ إليهم المدينة بكاملها . التي هي دمشق! . وفاء بالعهد وبالكلمة التي أعطاها لهم ..!

تأمل .. أهكذا هم الصهاينة اليهود اليوم ـ ووراءهم أمريكا والغرب الصليبي ـ في تعاملهم مع العقود والعهود التي يعطونها للآخرين .. كم هي العقود والعهود التي يبرمونها اليوم .. وفي اليوم الثاني يغدرون بها لأدنى مصلحة يمكن أن يفقدونها من وراء هذا العقد أو العهد، فأنى لهؤلاء أن يكونوا دعاة بحق للسلام أو أنهم كفأ لأن يكونوا رعاة بحق للسلام؟!

فسادهم وطغيانهم، وفرضوا سلامهم العادل .. نجوا جميعاً: الصالحين والطالحين معاً .. ونجت معهم السفينة والمجتمعات من الغرق في أوحال الشرك والفساد، والدمار ..!

والذي يهمنا من ألفاظ الحديث في هذا الموضع قوله ﷺ " نجوا ونجوا جميعاً " الذي يفيد حرص الحق على تحقيق النجاة والسلامة لأهل الباطل كذلك .. وهذا مالا يمكن أن نجده أو نشعر به عند أهل الباطل نحو الحق وأهله ..!

وقال ﷺ:" من أمَّن رجلاً على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل، وإن كان المقتول كافراً "[15]. وقال ﷺ:" من قتل نفساً معاهدة بغير حلها، حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها "[16].

هذه هي أخلاق الحق التي تُلزم كل مسلم ولو كان في أدغال إفريقيا أو الفلبين .. فهو يكفيه بأن يسمع بهذا الحديث أو نحوه ليكون له رادعاً وزاجراً يردعه من أن يمس أو يصيب الكافر الذمي أو المعاهد المؤمَّن بأدنى أذى أو سوء ..!

وبعد، فإنه يحق لنا أن نسأل: أهكذا هم أهل الباطل ـ بكل تجمعاتهم ومذاهبهم ـ عندما يتعاملون مع المسلمين وبخاصة إن ظهروا عليهم بنوع قوة أو سلطة ..؟!

---

[15] أخرجه النسائي، وابن ماجة، وأحمد، السلسلة الصحيحة:**440**.

[16] صحيح سنن النسائي:**4423**.

الجواب: تجده في المجازر الجماعية بحق الشيوخ والأطفال والنساء التي ارتكبت في البوسنة والهرسك .. وفي الشيشان .. وفي العراق .. وفي أفغانستان من قبل .. وأخيراً في سوريا .. تجده في المقابر الجماعية للأحياء .. تجده في حرق المسلمين وهم يتعبدون في مساجدهم كما حصل في مالوكو إندونسيا .. وغيرها من البقاع!

تجد الجواب في البيوت المهدمة على أهلها وأصحابها الأبرياء ..؟!

راجع تاريخ فتوحات الإسلام كلها .. هل تعرف مرة أن الإسلام اضطر ـ فضلاً عن أن يجبر ـ أهل البلاد بأن يخرجوا من ديارهم بالآلاف أو الملايين ..!

بينما نجد صهاينة اليهود لما غزوا فلسطين شردوا ملايين المسلمين من أبناءها وأسكنوهم في العراء وفي المخيمات .. ثم بعد ذلك قسّموا الناس بين نازح ولاجئ، ولكل منهما درجة؟!

كذلك لما غزت روسيا من قبل أفغانستان .. وكذلك لما غزت الشيشان .. وكذلك الصرب لما غزوا البوسنة والهرسك .. أجبروا المسلمين من أهل البلد على الهجرة والخروج من ديارهم وبيوتهم ..

وذلك بعد أن ارتكبوا بحقهم المجازر التي لا يمكن أن يتصورها عقل آدمي ..!

وفي سوريا .. هذا القتل والتهجير الجماعي للملايين من أبنائها .. كل ذلك يحصل في زمن الديمقراطية .. وزمن الإنسانية، وحقوق الإنسان .. ومحاربة العنصرية .. وعلى مرأى ومسمع ومباركة من جميع محافل الباطل ومؤسساته ودوله!

كل ذلك يجعلنا نجزم ونؤكد بأن الباطل لا يمكن له أن يحقق السلام العادل في الوجود لأنه لا يملك الخصائص النفسية والأخلاقية التي تمكنه من ذلك، بخلاف الحق فإنه يملك جميع مقومات وخصائص تحقيق السلام العادل في الأرض كل الأرض .. وبالتالي هو الذي يجب أن يُرشح لقيادة ورعاية عملية السلام، وعلى طريقته الخاصة به .. وليس على طريقة أحدٍ غيره.

ولما كان الباطل لا يسمح للحق أن يقود ويرعى عملية السلام .. أو يحقق السلام العادل على طريقته الشرعية الربانية .. لزم على الحق وأهله أن يجاهدوا الباطل وأهله ويزيلوا من أمامهم العقبات الكثيرة التي ينثرها الباطل في طريقهم والتي تحيل بينهم وبين تحقيق السلام!

لذا فإن كل من يريد السلام بحق نقول له: أقرب طريق لتحقيق السلام العادل هو الجهاد في سبيل الله .. وأي طريق آخر يُسلك غير طريق الجهاد فهو طريق لا يوصل للسلام ولا يمكن أن يحقق السلام، وهو مضيعة للأوقات والأعمار من غير طائل ولا فائدة

.. وليس من ورائه إلا تأخير عملية السلام .. وإطالة أمد الحروب والظلم والشقاء والحرمان!

فكل من يتنكب طريق الجهاد ـ بقصد أو غير قصد ـ فهو لا يعمل للسلام .. ولا يريد للسلام أن تقوم له قائمة .. وإنما يريد أن يطيل أمد الحروب والشقاء والظلم والحرمان .. يريد أن يطيل عمر طغيان الباطل .. يريد أن يكرس سلام الباطل الذي هو ليس بسلام .. وإن زعم ملء شدقيه أنه من دعاة وأنصار السلام !!

وعليه، وبناءً على ما تقدم، نقول جازمين: إن أقرب الناس للسلام، وأصدقهم دعوة إلى السلام هم المجاهدون في سبيل الله الذين يُقاتلون في سبيل الله .. وأكثر الناس بعداً وعداءً للسلام هم أكثرهم عداءً لمبدأ الجهاد في سبيل الله ..!

رابعاً: لأن الغايات العامة للإسلام لا يمكن أن تتحقق إلا بالجهاد في سبيل الله.

فمن دواعي الشروع في طريق الجهاد كذلك أن الغايات العظمى الكليّة للإسلام لا يمكن أن تتحقق إلا بالجهاد في سبيل الله.

ومن أجل وأعظم غايات الإسلام نشر التوحيد وبسط نفوذه .. واستئصال الشرك وتحجيم نفوذه .. والعمل على أطر العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .. ومن جور الأديان والشرك إلى عدل الإسلام والتوحيد .. وهذه مهمة جميع الأنبياء والرسل من لدن

آدم عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ، كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ النحل:36.

وقد تقدمت الإشارة إلى حرص الباطل الشديد على منع الحق من أن يبسط نفوذه أو أن ينشر ما لديه من الخير والهداية، وهو لا يتردد في زرع العقبات والأشواك في طريقه، التي تعيق بين رسالته وهدفه وبين الناس .. وقد ذكرنا ـ فيما تقدم ـ الأدلة على ذلك من النصوص الشرعية، وكذلك أدلة الواقع التي تثبت أن الباطل لا يهدأ له بال ولا تقر له عين إلا بعد أن يرد الحق عن حقه أو يُزيله عن الوجود والحياة إن استطاع ..!

وهذا واقع ظاهر لا خفاء فيه .. لا ينبغي أن نطيل الجدال حوله لنثبت صحته ..!

الشاهد مما تقدم: أن الإسلام لا بد له من أن يؤدي رسالته، وهو وجِد لذلك .. وأن القائمين على نصرة هذا الدين الحنيف لا بد لهم من أن يعملوا جادين ومخلصين لنصرة هذا الدين ونشر تعاليمه بين الناس كل الناس، وليس لهم خيار غير ذلك .. وهذا من لوازمه إزالة كل العقبات والأشواك التي يفترشها الباطل في طريق الحق .. ومادة ذلك كله الجهاد في سبيل الله .

فالباطل بكل جيوشه وتجمعاته .. ليس ذلك الخصم السهل البسيط المسكين ـ كما يصور البعض ـ الذي يمكن أن تحسم معه

المعركة أو المشاكل من خلال الوعظ أو مجرد الكلمة بعيداً عن قوة السيف والحديد .. والذين يرون غير ذلك فهؤلاء لم يقرأوا القرآن بعد .. ولم يقرأوا التاريخ ولا الواقع كذلك .. وهم على قلوبهم وأبصارهم غشاوة!

لأجل ذلك نجد أن الله تعالى قد أنزل القرآن الكريم؛ وهو الحق المطلق .. وأنزل معه الحديد فيه بأس شديد ليحمي به هذا الحق .. ويسهّل له رسالته في الوجود.

قال تعالى:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحديد:25.

فالحق لا بد له من حديد يحميه ويرد عنه سهام شياطين الإنس والجن .. فحق بلا حديد سهل المنال .. وسهل أن تنتهك حرماته .. وسهل أن يُمنع من تحقيق أهدافه ورسالته .. وهو عرضة للسخرية والاستهانة من كل مارق أو كافر معاند!

فالذي لا يرى الجهاد .. ولا يدعو للجهاد .. ولا يأمر بالجهاد .. فهو ـ بقصد أو غير قصد ـ يُريد أن ينزل بالحق كل أنواع الأذى المتقدمة الذكر أعلاه .. ولا يريد للحق أن تقوم له قائمة عز مشرفة!

تأمل عدد نسخ القرآن الكريم التي تطبع في العالم سنوياً، فهي تتجاوز مئات الملايين .. بل ما من بيت إلا وفيه عدة نسخ من القرآن الكريم .. ولكن لما تخلى الناس عن الحديد وخلت بيوتهم من الحديد .. ضعف أثر القرآن في الوجود، وفي الحياة!

وفي الأثر عن عثمان رضي الله عنه، قال: إن الله ليزع . أي ليردع . بالسلطان مالا يزع بالقرآن!

خلاصة القول: أن القرآن والحديد رسالتان متوازيتان تسيران جنباً إلى جنب .. لا مضاء لأحدهما إلا بالآخر .. وهما للحق كالجناحين للطائر لا يمكن له الطيران والعلو في السماء إلا بهما معاً .. فإن أصيب في أحد جناحيه خرَّ إلى الأرض ووقع .. ولا بد له من أن يقع!

فحديد من غير قرآن؛ ظلم، واستعلاء في الأرض بغير حق .. وقرآن من غير حديد، ضعف، وهوان .. والحق كما يأبى الظلم، والاستعلاء في الأرض بغير حق، كذلك يأبى الضعف والهوان.

خامساً: ثم بعد كل ذلك لأن الجهاد في سبيل الله عبادة عظيمة .. التفريط بها تفريط بباب عظيم من أبواب الجنة .. تفريط بالدرجات العُلا .. والخصال الفريدة .. التي لا يمكن أن تتأتى للقاعدين من غير جهاد .. مهما أتوا من ضروب العبادات الأخرى .. لندع نصوص الكتاب والسنة تحدثنا عن كل ذلك:

قال تعال:﴿ لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾النساء:95.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد، قال:" لا أجده ! .. هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر ؟! " قال: ومن يستطيع ذلك ؟! البخاري.

وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ فقال رسول الله ﷺ:" مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله .."البخاري.

وقال ﷺ:" لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها "البخاري.

وقال ﷺ:" لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب "البخاري.

وقال ﷺ:" واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف "البخاري.

وقال ﷺ:" رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها .. "البخاري. هذا رباط يومٍ في سبيل الله .. فكيف بجهاد يومٍ في

سبيل الله .. أو جهاد أيام .. أو جهاد أشهر .. أو جهاد العمر .. الله أكبر .. إنها الجنان والدرجات ورب الكعبة!

وقال ﷺ:" تضمّن اللهُ لمن خرج في سبيله لا يُخرجه إلا جهاداً في سبيلي وإيماناً بي وتصديقاً برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أُرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجرٍ أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلم؛ لونه لون دمٍ وريحه مسك . والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمدٍ بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأُقتل ثم أغزو فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل "مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا سعيد من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ نبياً وجبت له الجنة " فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله، ففعل ثم قال:" وأُخرى يُرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض!" قال وما هي يا رسول الله ؟ قال:" الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله "مسلم.

وقال ﷺ:" أبواب الجنة تحت ظلال السيوف "مسلم. فهو ليس باب واحد بل هي أبواب كلها تحت ظلال السيوف والجهاد ..!

قال النووي: قال العلماء معناه أن الجهاد وحضور معركة القتال طريق إلى الجنة وسبب لدخولها .. ا– هـ.

وقال ﷺ:" رباط يومٍ وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان "مسلم.

وقال ﷺ:" كل ميت يُختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه يُنمَّى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر "[17].

وقال ﷺ:" من اغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار "البخاري.

وقال ﷺ:" لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم "[18].

وقال ﷺ:" للشهيد عند الله سِتُّ خصال: يُغفر له في أول دُفعة، ويُرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويُوضع على رأسه تاجُ الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويُزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشفَّع في سبعين من أقاربه "[19]. فهي ليست خصلة واحدة بل ست خصال بعضها

---

[17] صحيح سنن الترمذي: **1322**.

[18] صحيح سنن الترمذي: **1333**.

[19] صحيح سنن الترمذي:**1358**.

يفضل ويعلو بعض .. أكرم وأعظم بها من خصال، لا يُعطاها إلا الشهيد!

وقال ﷺ:" عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى؛ فإنه باب من أبواب الجنة يُذهب الله به الهم والغم ". وقد تقدم .

وقال ﷺ:" إن السيوف مفاتيح الجنة "[20].

وقالﷺ:" ألا أنبئكم بليلةٍ أفضل من ليلة القدر؟ حارس الحرس في أرض خوف لعله أن لا يرجع إلى أهله "[21]. وحارس الحرس هو الحارس الذي يحرس في الخطوط الأمامية المتاخمة للعدو .. فيكون بذلك حارساً للحرس الذين يحرسون في الخطوط الخلفية من موقع العدو .. والله تعالى أعلم.

وقال ﷺ:" إن الله ﷻ ليدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزُخرفها وزينتها فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة، فيدخلونها بغير حساب . وتأتي الملائكة فيسجدون، فيقولون: ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار ونقدس لك، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الرب ﷻ: هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وأوذوا في سبيلي، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب ﴿

---

[20] أخرجه ابن أبي شيبة، السلسلة الصحيحة: **2672**.

[21] أخرجه الحاكم وغيره، السلسلة الصحيحة: **2811**.

سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[22].

هـذا غـيض مـن فـيض ممـا ثبـت في فضـل الجهـاد .. ومـا للمجاهدين من أجر، ومثوبة، وكرامة لا يؤتاها غيرهم .. وهو باعث عظيم على السير في هذا الطريق المبارك العظيم لا يفرط به إلا كل خائب خاسر!

وهـو كـذلك ـ أي الجهـاد في سـبيل الله ـ عبـادة يظهـر فيهـا مدى صدق حب العبد لربه ﷻ .. ومدى صدق انتمائه لهذا الدين .. فبالجهاد تُعرف الرجال، وتُعرف حقيقة معادن الناس، ومن منهم الصادق في زعمه للإيمان ومن منهم الكاذب .. فالمؤمن الصادق في إيمانه وحبه لربه ﷻ هو الذي يقتحم المخاطر ولا يتردد في أن يرمي بنفسه في مواطن الجهاد والخوف في سبيل الله .. أما أصحاب القلوب المريضـة بالنفـاق وغـيرهم هـم الـذين يبحثـون عـن الأعـذار والـذرائع الكاذبة لكي يتخلفوا عن مواطن الجهاد في سبيل الله ..!

قال تعالى:﴿ لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِـدُواْ بِـأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِـهِمْ وَاللّهُ عَلِـيمٌ بِـالْمُتَّقِينَ . إِنَّمَـا يَسْـتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُـمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾التوبة:44-45.

---

[22] أخرجه الأصفهاني في الترغيب والترهيب وغيره، السلسلة الصحيحة: 2556.

قال ابن تيمية في الفتاوى:**438/28**: فهذا إخبار من الله أن المؤمن لا يستأذن الرسول في ترك الجهاد وإنما يستأذنه الذين لا يؤمنون، فكيف بالتارك من غير استئذان ..؟! ا–هـ .

قلت: فكيف بمن يثبط الأمة عن الجهاد، ويؤثم المجاهدين ويجرمهم لجهادهم ..؟!

كيف بمن يُعطل الجهاد كلياً، ويصد عنه الأمة لتأويلات باطلة فاسدة مبعثها الخور، والجبن والإرجاف ..؟!

كيف بمن يستبدل الجهاد في سبيل الله بطرق بدعية باطلة .. ويحسنها ويفضلها عليه ..؟!

كيف بمن يكره الجهاد والمجاهدين ـ صفوة هذه الأمة . ويعاديهم، ويحرض الناس على أذاهم والنيل منهم ومن جهادهم .. حسداً من عند أنفسهم؟!

لا شك أن هؤلاء أولى بالنفاق من أولئك الذين يتركون الجهاد بعد استئذان ..!

قال ﷺ:" من مات ولم يغز، ولم يُحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق "مسلم.

هذا فيمن لم يحدث نفسه بالجهاد بصدق وإخلاص .. فكيف بمن تقدم ذكرهم، وذكرت أوصافهم وخصالهم المشينة .. لا شك أنهم أولى بالنفاق وبشعب النفاق!

من علامات الولاية والاصطفاء المتابعة .. والجهاد في سبيل الله .. فمن أتى بالمتابعة للشريعة والسنة من دون الجهاد في سبيل الله لا يكون ولياً من أولياء الله .. ومن أتى بالجهاد من دون المتابعة للشريعة والسنة لا يكون ولياً من أولياء الله .. ولتحقيق الولاية كاملة لا بد من المتابعة والجهاد في سبيل الله معاً.

قال ابن تيمية رحمه الله: قد جعل الله لأهل محبته علامتين: اتباع الرسول، والجهاد في سبيل الله؛ وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، وفي دفع ما يبغضه من الكفر والفسوق والعصيان ا– هـ.

عجباً لأولئك الذين يريدون أن يربوا شباب الأمة بعيداً عن مواطن وساحات الجهاد .. يربونهم في صالات التنظير المكيفة بعيداً عن واقع الحياة، وآلام الأمة .. ثم هم يتوقعون بعد ذلك أن يرتفع هؤلاء الشباب إلى مستوى مسؤوليات ومبادئ هذا الدين العظيم .. أو أن يكونوا يوماً من الأيام أكفاءً لتحمل مسؤولياتهم الضخمة نحو هذا الدين .. أو أن يكونوا من أولياء الله الربانيين ؟!

هؤلاء يحلمون .. أو أنهم لم يقرؤوا كلمات هذا الدين .. ولو قرؤوها فهم لم يقرؤوها على مراد الله ورسوله ..!

أمة الإسلام أمة كتبَ اللهُ عليها أن تكون أمة جهاد وبذل وعطاء .. أمة لا تعرف الدعة أو الميوعة أو الهزل أو الركون للدنيا

والمتاع .. أمة لا تعرف إلا الجد في جميع أمورها .. لأنها أمة رسالة ودين تتوقف عليها نجاة البشرية جمعاء!

لأجل ذلك كله نقول ـ ما قلناه في أول هذه المقالة ـ لا خيار للأمة إلا خيار الجهاد .. ولا عز لها إلا بالجهاد .. ولا نجاة لها إلا بالجهاد .. ولا طريق لها تسلكه إلا طريق الجهاد .. فهل أنتم موقنون .. فهل أنتم مؤمنون؟!

* * * * *

لماذا الجهادُ في سبيل الله ..؟

(الجزء الثاني)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

من الحقائق التي يُسلم بها جميع أصحاب العقول والفطر السليمة أن الله تعالى هو خالق الخلق .. وهو المالك الحقيقي لما خلق .. لا شريك له في الملك ولا في الخلق.

قال تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾الأنعام:73.

وقال تعالى:﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾إبراهيم:32.

وقال تعالى:﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾النور:45. وهذا لا خلاف فيه بين الشعوب وأهل الديانات كلها، كما قال تعالى:﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾العنكبوت:61. وإنما حصل الخلاف فيما بينهم

حول المعبود المستحق للعبادة، والطاعة، والتأله .. فحصل بسبب ذلك الخلاف الإشراك بالله ﷻ .. وعُبد من دونه من لا يجوز أن يُعبد؛ لأنه مخلوق ضعيف لم يخلق شيئاً .. وليس بقادرٍ على أن يخلق شيئاً، كما قال تعالى:﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾الأعراف:191. وقال تعالى:﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾النحل:17. لا يستوون مثلاً ..!

فالله تعالى هو الخالق لهذا الكون وما فيه؛ وبالتالي فهو المعبود بحق .. لا شريك له .. وهو وحده له الحكم والأمر دون أحدٍ سواه ﷻ، كما قال تعالى:﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾الأعراف:54. فمالك الملك الذي له الخلق .. هو الذي له الأمر وحده .. وهو الذي يجب أن يُطاع في ما يأمر به وينهى عنه .. أما الذي لا يخلق وهو يُخلق .. ولا يَملك وهو يُملك .. لا يجوز أن يكون له شيء من الأمر .. كما لا يجوز أن يُطاع في شيء مما يأمر به فيما لا يملكه ولا يخلقه!

فالآمر الناهي هو الخالق المالك .. أما الذي لا يخلق ولا يملك .. فلا أمر له ولا نهي!

هنا مكمن الخلاف والنزاع بين أهل الحق من أتباع الأنبياء والرسل .. وبين ما سواهم من الشعوب والأمم الضالة .. التي ضلت

طريق التوحيد .. والعبودية لله ﷻ وحده .. لتقع في أوحال الشرك .. وعبودية المخلوق؛ الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً!

كل الأمم والشعوب الضالة .. على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم .. وأدياتهم .. ومسمياتهم .. يشتركون في خصلة واحدة، وتوحدهم خصلة واحدة؛ ألا وهي عبادة المخلوق من دون الله ﷻ .. وصرف الطاعة والتأله لهذا المخلوق من دون الله تعالى .. وإن اختلفوا فيما بينهم على صورة وشكل واسم هذا المخلوق!

فهم وإن كانوا فرقاً وشيعاً شتى .. متنازعة ومختلفة فيما بينها .. إلا أنهم عندما تكون المعركة بين أهل الحق من أتباع الأنبياء والرسل .. وبين أهل الباطل من عبدة الأوثان والطواغيت .. تراهم جميعاً صفاً واحداً ضد الحق وأهله؛ لاشتراكهم جميعاً في خصلة واحدة؛ وهي عبادة المخلوق من دون الخالق .. بغض النظر عن صفة وشكل هذا المخلوق .. كما قال تعالى:﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾المائدة:51.

فالذي يوحدهم على الحق وأهله، الشرك بالله ﷻ .. وعبادة الطاغوت!

الله تعالى يقول لعباده أنا المعبود المطاع بحق .. لأني أنا الخالق المالك .. وحقي عليكم أن تعبدوني لا تُشركوا بي شيئاً:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾الذريات:56. وقال تعالى: ﴿ وَمَا

أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾البينة:5.

فيأتي الطاغوت المخلوق المملوك الضعيف الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ـ على اختلاف صوره ومسمياته ـ فيقول: لا .. بل أنا المعبود المطاع من دون الله .. ما علمت لكم من إله ومشرع ترجعون إليه في جميع شؤون حياتكم غيري .. ويجيش من أجل ذلك الجند والجيوش وكل من يدخل في حلفه وطاعته من دون الله!

ومن خصائص الله تعالى وصفاته أنه غيور .. يغار على حرماته وعلى حقه على عباده .. فلا أحد أغير منه ﷻ على الحرمات وعلى العباد، كما في الحديث الصحيح:" لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب، وأرسل الرسل ".

كما أنه ﷻ يبغض الظلم ويحرمه .. ولاشيء يُغضبه ويُسخطه كظلم الشرك .. وظلم الطواغيت التي تستشرف خصائص الإلهية وتُعبد من دون الله؛ لأنه ظلم عظيم لحق الله تعالى على عباده .. ولآدمية الإنسان معاً:﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾لقمان:13. وقال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً ﴾النساء:48.

أي ظلمٍ يعلو ظلم الطاغوت الذي يجعل من نفسه نداً لله ﷻ .. ويُعلن على الملأ وبكل وقاحة أنه الإله المعبود .. وأنه الحكَم والمطاع لذاته .. الذي له حق التشريع والحظر والإباحة والحكم على الأشياء من دون الله .. وما على الناس إلا أن يدخلوا في طاعته وعبادته وحزبه من دون الله ﷻ ..؟!

أي ظلم يعلو ظلم العبد وهو يقول لربه وخالقه ومالكه والمتفضل عليه بالنعم التي لا تُحصى: أنت لست معبودي .. ولا حق لك علي .. وإنما معبودي الذي له كامل الحق علي ذلك الطاغوت من البشر أو الحجر أو البقر ..!!

أي ظلم يعلو ظلم العبد وهو يقول لخالقه . رغم الآيات الباهرات الدالة عليه ﷻ والتي لا تُحصى .: لا حجة لك علي .. وإنما الحجة الكاملة للطاغوت ..!!

إن مقتضيات أسماء الله الحسنى وصفاته العليا لا تقبل هذا الظلم والزور .. والجحود .. لأجل ذلك شرع الله تعالى الجهاد ...!

أمر عباده الموحدين الذين استجابوا لدعوة الأنبياء والرسل .. بأن يُجاهدوا المشركين الذين ضلوا عن عبادته وتوحيده وعبدوا الطاغوت من دونه .. ليأطروهم إلى الحقّ أطراً .. وليخرجوهم من ظلم الشرك وظلماته إلى عدل التوحيد ونوره .. ولهم مقابل ذلك رضوانه تعالى والجنة .. أنعم به من ثمن!

قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾التوبة:111.

أمر عباده الموحدين بأن يقصدوا المشركين .. ليخرجوهم ـ ولو بالسلاسل ـ من حظيرة الشرك والضياع .. ليأتوا بهم إلى حظيرة العبودية والتوحيد .. والخضوع .. ومن السبيل الذي ينتهي بهم إلى النار وجحيمها إلى السبيل الذي ينتهي بهم إلى الجنة ونعيمها .. ولو استدعى الأمر إلى الجهاد والقتال .. فإن الفتنة أشد من القتل والقتال.

قال تعالى:﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾الأنبياء:18. فمن الحقّ الذي يقذف الله تعالى به الباطل وأهله جندَ التوحيد وأهله.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" عجبت لأقوامٍ يُساقون إلى الجنة في السلاسل وهم كارهون ". وفي رواية:" عجب ربنا ﷻ من قومٍ يُقادون إلى الجنة في السلاسل ".

هذا المعنى هو الذي أراده الصحابي الجليل ربعي بن عامر عندما أجاب ملك بلاد فارس لما سأله عن العلة التي حملتهم على الجهاد والقتال .. وغزو فارس في عقر دارهم، فقال له: لقد ابتعثنا الله

تعالى لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ..!

لا توجد لنا غاية أخرى حملتنا على غزو بلادكم سوى هذه الغاية .. ولا يوجد سبب آخر حملنا على غزو بلادكم سوى ما أنتم عليه من ظلم الشرك .. وعبودية العبيد للعبيد .. وهذا هو المعنى الحقيقي للجهاد في سبيل الله الذي أمرنا الله تعالى به.

لا حظوظ فيه للنفس .. ولا أطماع ولا مآرب أخرى .. سوى إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .. فإن تحقق ذلك .. تحقق السلم والأمان .. وتصافت النفوس وتآخت وتحابت في الله مهما كان بينها قبل ذلك من جراحات ودماء وثارات!

كما قال تعالى:﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾التوبة:11. فتنقلب العداوة مباشرة ـ إن تابوا وأقاموا الصلاة ـ إلى أخوة متحابين في الله والدين.

وقال تعالى:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾الممتحنة:4. فهذه العداوة مستمرة أبداً ـ عبر الأزمان كلها وإلى أن تقوم الساعة ـ بين أتباع الأنبياء والرسل وبين الطواغيت وأتباعهم ..

إلى أن يعبدوا الله تعالى وحده .. فإن آمنوا وعبدوا الله تعالى وحده وتبرؤوا مما هم فيه من الشرك .. ذهبت العداوة والبغضاء وحلت محلهما المحبة والإخاء!

وفي غزوة أحد لما جُرح وجه النبي ﷺ، وكُسرت رُباعيته، وشُج في رأسه، وهُشمت البيضة على رأسه، وجعل الدم يسلت عنه ﷺ وهو يقول:" كيف يُفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله "!

فأنزل الله ﷻ إليه:﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾آل عمران:128. أي أن الأمر كله لله تعالى .. أما أنت يا محمد فإنك عبد الله ورسوله .. فليس لك من الأمر شيء .. فليس لك أنت ومن تبعك من المؤمنين سوى المضي لأمري .. والصبر على جهاد من عصاني وعبد غيري إلى أن يدخل في طاعتي وعبادتي .. فأنا ابتعثتك وجميع الأنبياء والرسل من قبلك لأجل ذلك، كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾النحل:36.

وقال تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾النساء:76. ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من صيغ العموم؛ أي كل الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله .. ولا يجوز لهم

غير ذلك .. وكل الذين كفروا بجميع طوائفهم ومللهم وعلى اختلاف راياتهم ومسمياتهم .. ومواقعهم .. يُقاتلون في سبيل الطاغوت .. فالقتال في سبيل الطاغوت سمة مشتركة بين جميع ملل الكفر والشرك.

هذا المعنى لغايات ومقاصد الجهاد في الإسلام .. يجب أن يعرفه العدو المحارب .. كما يجب أن لا يسهو عنه المجاهد وهو في غمرات الغزو والجهاد في سبيل الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * * * *

هكذا كانت حياةُ النبيّ محمدٍ ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ وبعد.

إلى العاملين من أجل استئناف حياة إسلامية راشدة ..!

إلى الذين يحدوهم الأمل لغدٍ مُشرق ..!

إلى من يحرص على الارتواء من معين المصطفى ﷺ الطاهر الذي لا ينضب عطاؤه وخيره!

إلى من ينشد الاقتداء بالنبي ﷺ .. والسير على دربه ونهجه!

إلى الذين يسألون عن المنهج والطريق ..!

إلى الذين يفرقون بين السُّنَّة والسيرة .. فيأخذون بالسنة ويدعون العمل بالسيرة!

إلى الذين يزعمون أنهم سلفيون وأثريون .. وأنهم على نهج النبي ﷺ وسنته .. وهم ـ في واقعهم ومعاشهم ـ ليسوا كذلك ..!

إلى الذين يهون عليهم العيش في السهول .. وبين الحفر .. ويستصعبون العيش في الجبال .. والارتقاء إلى القمم العوالي ..!

إلى الذين يستثقلون النهوض بالواجب .. ويستعذبون الموت أحياء في المقابر الجماعية .. التي يعدها لهم الظالمون .. ويخشون الموت مقبلين غير مدبرين!

إلى الذين أصبحت العزة بالنسبة لهم حكايات وقصص تُروى عن الأجداد .. لا يعرفون من طعمها ولونها وواقعها شيء!

إلى هؤلاء جميعاً وغيرهم نقول: هكذا كانت حياة قائدنا .. وأسوتنا .. ومعلمنا .. النبي الهادي محمدٍ ﷺ .. فهل أنتم مقتدون ومتبعون؟!

لنلقِ جميعاً نظرة . ولو سريعة . على بعض جوانب حياة وسيرة هذا النبي العظيم .. كيف كانت وعلى أي نهج مضت .. لنستنبط منها الدروس والعبر .. ونقتفي الآثار .. ونسير على الطريق .. ونهتدي بنور سنته وهدي سيرته ﷺ .. وما أحوجنا لذلك وبخاصة في هذه الحقبة من الزمن التي تكالبت فيها أمم الكفر والإلحاد على أمة الإسلام.

في المرحلة المكية بعد أن أوحى الله تعالى إليه بالرسالة وأمره بالبلاغ .. نجد جهداً متواصلاً .. وحركة دؤوبة لا تعرف السكون ولا الكلل ولا الملل .. وقلقاً وهمَّاً .. وصدعاً بالحق .. وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر .. وتضحية وفداء .. وبلاغاً وإنذاراً .. وتحملاً شديداً لجميع صنوف الأذى والبلاء .. وثباتاً فريداً على العقيدة والتوحيد والمبدأ .. صلوات ربي وسلامه عليه!

تُعرض عليه الدنيا وكل ما يمكن أن يصبو إليه مخلوق من ملك ومتاع .. لا من أجل أن يُمسك عن جانب الدعوة إلى الحق ..

بل من أجل أن يُمسك عن تعرية باطلهم وشتم آلهتهم .. وأصنامهم .. وطواغيتهم .. لكن يأبى النبي ﷺ إلا أن يصدع بالحق كاملاً كما أوحاه الله تعالى إليه .. ويأبى إلا أن يأطرهم إلى الحق كاملاً من غير انتقاصٍ ولا اجتزاء!

قالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا .. ووقع في آلهتنا .. فانهه عنا!

قال أبو طالب: يا محمد إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم!

فحلَّق رسول الله ﷺ ببصره في السماء، فقال:" أترون هذه الشمس ؟" قالوا: نعم، قال:" فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تُشعلوا منها بشعلة "!

قالوا: فرَّقت جماعتنا، وشتَّت أمرنا، وعبت ديننا وآلهتنا، وفضحتنا في العرب .. وكفّرت من مضى من آبائنا .. إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا .. وإن كان بك الباءة فاختر أي نساء قريش فنزوجك عشراً ..؟!

فقال رسول الله ﷺ:" أفرغت "، فقال: نعم، فقرأ رسول الله ﷺ:﴿ حم . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾.

فقال عتبة بن ربيعة: حسبك ما عندك غير هذا؟!

قال ﷺ: لا!

هذا هو نبينا ﷺ .. وهذا هو موقفه .. فأين دعاة الحفاظ على المصالح والمكاسب المزعومة من ذلك ـ وما أكثرهم في زماننا ـ ما إن يرمي لهم الطاغوت قليلاً من الفُتات .. والعظام المجردة عن لحومها .. إلا وتراهم يتمسكون بها ويعضون عليها بالنواجذ ويؤثرونها ـ كمكاسب ومصالح ـ على العقيدة .. والتوحيد .. والمبادئ الكلية لهذا الدين!

من أجل راتب شهري يتقاضونه من الطاغوت .. يسكتون عن بيان الحق .. ويُداهنون ويجاملون .. ويوالون!

ما أن يقترب الطاغوت منهم ذراعاً إلا ويقتربون منه مائة ذراع .. وما أن يُغازلهم بطرف من العين .. إلا ويُغازلونه بالعينين معاً .. وبالأشعار .. والمدائح .. وفنون الإطراء .. ثم هم بعد كل هذا الافتراء يقولون ـ ظلماً وعدواناً ـ: نحن سلفيون وأثريون .. وعلى نهج وسنة المصطفى ﷺ سائرون!!

لم يقتصر فعل المشركين وإجرامهم في الصد عن الحق .. وإيقاف الدعوة .. على المساومة والإغراء .. فهم ما إن تيقن لهم فشل المساومة وما عرضوه على النبي ﷺ من إغراء ومتاع .. إلا ونفوسهم الخبيثة الأمارة بالسوء تحملهم على التجرؤ والتطاول بصنوف من العدوان والأذى والشر .. على سيد الخلق ﷺ .. ظناً منهم أن ذلك قد يُجدي لهم مأرباً!

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفَّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرَّق جماعتنا، وسبَّ آلهتنا، لقد صرنا منه على أمر عظيم ..!

فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلما أن مرّ بهم غمزوه ببعض ما يقول ـ أي استهزأوا به مرددين بعض قوله وكلامه ـ قال: فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، فلما مرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها!

فقال لهم:" تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح[23]"، فأخذت القومَ كلمتُه، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع.

---

[23] أي إن لم تؤمنوا وتُسلموا فليس لكم عندي إلا الذبح والقتل، وهذا أمر ستعلمونه ولو بعد حين ..!

قال: فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؛ كما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم ؟!

فيقول رسول الله ﷺ:" نعم، أنا الذي أقول ذلك "!

قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه .. وقام أبو بكر الصديق ﷺ دونه يقول وهو يبكي: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟!

ومن حديث ربيعة بن عباد الديلي قال: رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه ـ أي مزدحمون ـ إلا أن وراءه رجلاً أحول وضيء الوجه، ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب .. يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى .. فلا تسمعوا له ولا تتبعوه!

قلت لأبي من هذا؟ قال: عمه أبو لهب!

ومن حديث ابن مسعود ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نُحرت جزور

بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه، فيضعه في كتفي محمد إذا سجد!

فانبعث شقي القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبي ساجد، ما يرفع رأسه ...!

وفي رواية قال أبو جهل: أيكم يأتي جزور بني فلان فيأتينا بفرثها . أي كرشتها . فنكفئه على محمد ﷺ، فانطلق أشقاهم عقبة بن أبي معيط، فأتى به فألقاه على كتفيه، ورسول الله ﷺ ساجد. قال ابن مسعود: وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم، ليس عندي منعة تمنعني ..!

ومن حديث أسماء بنت أبي بكر، قالت: كان المشركون رفعوا في المسجد عمداً ليروا رسول الله ﷺ وما يقول في آلهتهم، فبينما هم كذلك، إذ أقبل رسول الله ﷺ فقاموا إليه بأجمعهم، فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقالوا: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا وإن له لغدائر أربع، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟! فلَهَوا عن رسول الله وأقبلوا على أبي بكر ﷺ، قالت: فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لا يمس من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام ..!

ومن حديث أنس بن ما لك ﷺ قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غشي عليه، فقام أبو بكر ﷺ فجعل ينادي ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟!!

فقالوا: من هذا؟ فقالوا: أبو بكر المجنون .. فتركوه وأقبلوا على أبي بكر!!

ومن حديث ابن عباس ﷺ قال: توعد أبو معيط أن يأتي مجلس النبي ﷺ، فيبزق في وجهه، ويشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم، ففعل، فلم يزد النبيَّ ﷺ أن مسح وجهه من البزاق، ثم التفت إليه فقال:" إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً ".

فلما كان يوم بدر خرج مع المشركين .. فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش، وقُدم إليه أبو معيط، فقال: تقتلني من بين هؤلاء؟! قال ﷺ:" نعم، بما بزقت في وجهي "! فأنزل الله في أبي معيط ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾.

وكذلك يوم أن قصد ﷺ الطائف وعرض نفسه ودعوته على أشراف ثقيف .. ردوه أسوأ ردٍّ .. وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه، ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجؤوه إلى حائطٍ لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة ..!

هذا قليل من كثير مما تعرَّض له شخص النبي ﷺ من أذى وبلاء في سبيل الله . فداه نفسي وأبي وأمي . فأين المقتدون المتبعون .. السائرون ؟!

أين الذين يتحدثون عن النصر والمجد .. والسنة والاتباع .. الذين يُفتنون عند أول بلاء ينزل بساحتهم؟!

يا أيها النائمون .. الواهمون .. الحالمون .. يا من ينشدون النصر والرفعة والمجد لهذا الدين من دون أن يهتز لهم بدن .. أو يقلق لهم بال .. أو يتلوث لهم ثوب .. أو يتعكر لهم مزاج .. أو ينتفخ لهم عرق أو يحمر لهم وجه .. ومن دون أن يتعرضوا لأي نوع من البلاء أو الأذى في الله .. أو يخسروا شيئاً مما يملكون وقد ألفته أنفسهم الضعيفة .. تحت زعم أن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها؛ ويريدون بذلك أن الكفر مستتب ومهيمن على البلاد والعباد لعن الله من أيقظه وتحرش به .. وسبب الأذى والبلاء للناس .. لهؤلاء وغيرهم نقول: هذا هو نبيكم ﷺ فأين أنتم منه .. أين أنتم من سيرته وسنته وجهاده وتضحيته .. أيكم أعز وأشرف .. وأكرم .. أم أنكم تظنون أن هذا الدين كان سيصل إليكم وإلى من بعدكم من غير تضحية وجهاد وبلاء ..؟!

قال تعالى:﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾العنكبوت:2. وقال تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ

الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾محمد:31.

يقولون بلسان القال وأحياناً بلسان الحال: نحن على السنة .. وسلفيون وأثريون .. ومن أهل الاتباع لا الابتداع .. لكن لا نريد ولا نحب أن نفعل كما فعل محمد ﷺ .. لا نريد أن نجهر بالحق في وجوه الطغاة الظالمين كما فعل محمد ﷺ .. لا نريد أن نفاصل الطواغيت .. ونكفرهم .. ونكفر بهم .. كما كان يفعل محمد ﷺ .. لا نريد أن نجاهد الشرك والمشركين .. ونظهر البراء من آلهتهم وطواغيتهم .. ونضحي في سبيل ذلك .. كما كان يفعل محمد ﷺ .. لا نريد أن نُبتَلى في الله .. ونرتكب حماقات مع الطواغيت .. لا قِبَل لنا بها .. كما كان يفعل محمد ﷺ .. لا نريد أن نصدع بالحق كاملاً كما كان يفعل محمد ﷺ .. لا بد من مداهنة الطواغيت الظالمين ومداراتهم ومجاملتهم .. وهذه هي الحكمة .. بخلاف ما كان عليه محمد ﷺ .. نحن من ورثة النبي محمدٍ ﷺ .. لكن في الحفظ والعلم .. لا في العمل والجهاد والتضحية والبلاء .. والصدع بالحق .. أولوياتنا الكروش .. ثم الفلوس .. ثم الجاه والشرف .. ثم الحفاظ على النساء والبنين .. ثم الدين .. بخلاف ما كان عليه سيد الأنبياء والمرسلين .. نحن نحب محمداً لكن لا نريد أن يُصيبنا من البلاء والأذى في الله ما أصاب محمداً .. صلوات ربي وسلامه عليه!

وهؤلاء لم يحققوا الاتباع ولا الاقتداء .. وهم ليسوا بسنيين ولا سلفيين .. وإنما هم كذابون دجالون .. يقتاتون بالانتساب إلى السنة كما يقتات اللصوص مما لا يملكون .. وإن زعموا بلسانهم ألف مرة أنهم من أتباع محمدٍ ﷺ .. وأنهم على سنته ونهجه .. فلسان حالهم وواقعهم يكذبهم وهو أصدق تعبيراً وبياناً من لسانهم الذي بين لحييهم!

قال تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾آل عمران:31. ﴿ فَاتَّبِعُونِي ﴾ في كل ما أنا عليه .. وليس في بعض دون بعض .. أو في جانبٍ دون جانب .. وإلا فإن زعمكم ثقيل وباطل!

أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: والله يا رسول الله إني أحبك، فقال له رسول الله ﷺ:" إن البلايا أسرع إلى من يُحبني من السيل إلى منتهاه " هذه هي علامة صدق المحبة إن كنت صادقاً في دعواك .. وإلا لا تدعي ولا تستشرف ما ليس فيك!

هذه بعض جوانب العطاء والثبات والجهاد من سيرة وحياة المصطفى ﷺ في المرحلة المكية .. فكيف كانت حياته ﷺ في المرحلة المدنية بعد الهجرة ..؟!

ما إن استقر المقام في المدينة المنورة .. ونزل قوله تعالى:﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾الحج:39. إلا وبدأ عهد جديد من الجهاد والغزو والقتال .. لا يعرف الهدوء ولا التوقف ولا الكلل.

في صفر على رأس اثني عشر شهراً من الهجرة يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة الأبواء ..!

وعلى رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجره ﷺ يقود ﷺ بنفسه غزوة بواط ..!

ثم أتبع غزوة البواط بغزوة العشيرة .. قال البخاري:" قال ابن إسحاق أول ما غزا رسول الله ﷺ الأبواء ثم بواط ثم العشيرة ".

وقبل ذلك يُرسل سريتين: سرية بقيادة حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر من جهينة .. وسرية بقيادة عبيدة بن الحارث ..!

وبعد غزوة العشيرة يخرج ﷺ بنفسه لطلب كرز بن جابر الفهري، وكان قد أغار على سرح المدينة .. وهي غزوة بدر الأولى!

وفي رجب من السنة الثانية للهجرة يُرسل ﷺ سرية عبد الله بن جحش .. التي كانت سبباً لغزوة بدر الكبرى!

وفي رمضان من نفس السنة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة بدر الكبرى أنعم وأعظم بها من غزوة .. قال علي بن أبي طالب

ﷺ:" لقد رأيتنا يوم بدر ونحن برسول الله ﷺ - أي نحتمي - وهو أقربنا من العدو، وكان من أشد الناس يومئذٍ باساً " .. الله أكبر!

ومن حديث أنس ﷺ قال: فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدرٍ، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ:" لا يقومنّ أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه ".

وفي شوال من نفس السنة .. وبعد غزوة بدر الكبرى بأيامٍ .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة بني سليم ..!

وبعدها من نفس السنة .. يقود ﷺ بنفسه غزوة السويق .. يُطارد فيها أبا سفيان ومن كان معه من المشركين .. كانوا قد تجرؤوا على الاقتراب من حدود المدينة ..!

وفي النصف الثاني من شوال من نفس السنة يغزو النبي ﷺ بنفسه يهود بني قينقاع .. وكانوا أول يهود قد نقضوا العهد وحاربوا!

وفي ذي الحجة من السنة الثالثة للهجرة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة نجد ويُقال لها غزوة ذي أمَر .. يريد مشركي غطفان!

وفي ربيع الأول من نفس السنة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة الفُرُع من بُحران .. أراد بها قريشاً!

ثم يرسل ﷺ سرية زيد بن حارثة .. في طلب عيرٍ لقريش كانت تحمل أموالهم وتجارتهم .. فلقيهم على ماء يُقال له القردة فأصاب تلك العير وما فيها .. وكانت تلك السرية بعد وقعة بدر

بستة أشهر.

ثم ينتدب نفراً من أصحابه لقتل الطاغية كعب بن الأشرف اليهودي .. وكان قد آذى الله ورسوله .. وقد فعلوا!

وفي شوال من نفس السنة .. يقود ﷺ بنفسه غزوة أحد .. وفيها جُرح وجهه الشريف .. وكُسرت رباعيته .. وهُشمت البيضة على رأسه .. وشُجَّ رأسه .. فجعل يسلت الدم عنه، ويقول:" كيف يُفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله " فأنزل الله ﷻ:﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾آل عمران:128.

وبعد موقعة أحد بيوم .. والجراح لم تندمل بعد .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة حمراء الأسد .. طالباً أبا سفيان ومن معه من المشركين .. وكان قد بلغه أن المشركين يريدون الكر لاستئصال المسلمين في مدينتهم ..!

وفي هذه الغزوة أنزل الله تعالى:﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾آل عمران:172.

وبعد أحد من السنة الرابعة للهجرة .. يتوجه النبي القائد ﷺ لغزو يهود بني النضير .. فيغزوهم في ديارهم وحصونهم .. بعد أن غدروا ونقضوا العهد .. وأرادوا السوء بالنبي ﷺ ..!

وبعد النضير من نفس السنة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة بني لحيان .. لما أصيب خبيب وأصحابه طالباً بدمهم ..!

وفي جمادى الأولى من نفس السنة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة ذات الرقاع .. أراد بها غزو مشركي بني محارب وبني ثعلبة من غطفان .. وسُميت غزوة ذات الرقاع لأن الصحابة كانوا يربطون على أرجلهم بالخرق والرقاع من شدة الحر ..!

وبعد غزوة ذات الرقاع في شعبان من نفس السنة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة بدر الآخرة أو الثانية .. خرج فيها لملاقاة أبي سفيان .. وكان على موعد معه عند بدر .. فأقام عليه ثمانياً إلا أن الآخر لم يأتِ ..!

وفي ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة دَومة الجندل .. فخرج في ألف من المسلمين .. وأراد بذلك أن يخيف قيصر الروم .. وأن يؤدب مشركي ومجرمي دومة الجندل!

وفي شعبان من نفس السنة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة بني المصطلق أو غزوة المريسيع .. وقد غزاهم النبي ﷺ بعد أن بلغه أن بني المصطلق يجمعون له .. فبادأهم القتال في حماهم قبل أن يبادئونه .. فقتل مقاتلتهم، وسبى سبيهم ..!

وفي شوال من نفس السنة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة الخندق أو الأحزاب .. وفي هذه الغزوة يواجه النبي ﷺ جميع طوائف وأحزاب الكفر والشرك من اليهود ومشركي العرب وأوباشهم .. الذين قصدوا استئصال المسلمين في مدينتهم .. إلا أن الله تعالى رد كيدهم في نحورهم وأبى إلا أن يعز دينه ورسوله!

وفي هذه الغزوة تم حفر الخندق حول المدينة لصد الأعداء .. وقد حصل فيها من الآيات والكرامات ما يطول بنا المقام لو أردنا ذكرها وإحصاءها ..!

وكان الصحابة من الأنصار والمهاجرين يرجزون وهم يحفرون الخندق، وقد بلغ بهم الجوع والنصب مبلغه:

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الجهاد ما بقينا أبداً

فيجيبهم النبي ﷺ:" اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة ".

وما إن انتهت موقعة الأحزاب على حال تسر المؤمنين وتسيء العدى .. رجع النبي ﷺ من الخندق، ووضع السلاح، واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام، فقال: قد وضعت السلاح؟! والله ما وضعناه! فاخرج إليهم، قال ﷺ:" فإلى أين؟ " قال: هاهنا وأشار إلى قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم.

ومن حديث كعب بن مالك ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب رجع فوضع لأمته واستجمر ـ أي تطيب ـ فنزل جبريل عليه السلام فقال: عذيرك من محارب، ألا أراك قد وضعت اللأمة، وما وضعناها بعد! فوثب رسول الله ﷺ فزعاً، فعزم على الناس ألا يصلوا العصر إلا في بني قريظة، فلبسوا السلاح وخرجوا ..!

وفي شعبان من السنة السادسة للهجرة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة قرَد أو غزوة الغابة .. ليسترد اللقاح وإبل المسلمين من غطفان وكانوا قد سطوا عليها ..!

وفي ذي القعدة من نفس السنة .. يقود النبي ﷺ بنفسه غزوة الحديبية العظيمة .. وفيها بايع النبي ﷺ أصحابه بيعة الرضوان ـ تحت الشجرة ـ على الموت والجهاد والثبات وعدم الفرار .. فأنزل الله تعالى فيهم:﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾الفتح:18. وكانوا يومئذٍ أربع عشر مائة .. وقد انتهت الغزوة بصلح آمن مع قريش ومن دخل في حلفهم .. وكان هذا الصلح كما أخبر عنه النبي ﷺ فتحاً مبيناً، وفيه أنزل الله تعالى قوله:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾الفتح:1. قال رجل: يا رسول الله أوفتح هو؟ قال:" أي والذي نفسي بيده إنه لفتح ".

وفي أواخر شهر محرم من السنة السابعة للهجرة .. يقود بنفسه ﷺ غزوة خيبر .. فغزا اليهود في حصونهم .. فلما دخل القرية، قال:" الله أكبر! خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباح المنذرين!

وفي هذه الغزوة بارز علي بن أبي طالب ﷺ مرحباً اليهودي وكان ملكاً على يهود خيبر فقتله .. وعلى يديه فتح الله ونصر المسلمين.

وفي هذه السنة يُرسل النبي ﷺ عدة سرايا للجهاد .. فأرسل أبا بكر على رأس سرية إلى فزارة .. وأرسل عمر على رأس سرية إلى هوازن .. وأرسل عبد الله بن رواحة على رأس سرية إلى يسير بن رزام اليهودي .. وسرية أخرى بقيادة بشير بن سعد على بني مرة من أرض فدك .. وسرية عليها عبد الله بن حزافة السهمي .. وغيرها!

وفي جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة .. يجهز ﷺ جيش مؤتة وجعل زيد بن حارثة أميراً عليه، وقال:" إن قُتل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة .. فكانوا على رأس ثلاثة آلاف رجل .. رمى بهم الروم في مؤتة من أرض الشام!

وفي جمادى الثانية من نفس السنة .. يُرسل ﷺ سرية إلى ذات السلاسل من مشارف الشام عليها عمرو بن العاص .. وفيها أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وفي العاشر من رمضان من نفس السنة .. يقود ﷺ بنفسه غزوة فتح مكة بعد أن نقضت قريش وحلفاؤها العهد وغدروا .. ونقضوا ما كان بينهم وبين النبي ﷺ من صلح .. فدخل مكة فاتحاً .. وحطم الأصنام التي كانت حول الكعبة .. وكان يطعنها بعود في يده، وهو يقول:" جاء الحق وزهق الباطل وما يُبدي الباطل وما يُعيد " .. ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

فبعد فتح مكة بتسعة عشر يوماً وكان ذلك لخمس خلت من شوال .. انطلق ﷺ يقود بنفسه غزوة حنين .. ليواجه آخر محاولات مشركي العرب التي تجمعت للصد عن دعوة التوحيد .. فنصره الله تعالى عليهم .. وجعل أموالهم غنيمة للمسلمين.

وفي هذه الموقعة كان النبي ﷺ ينادي مثبتاً المسلمين: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب.

قال البراء بن عازب ﷺ: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به ﷺ، وإن الشجاع منا للذي يُحاذي به؛ يعني النبي ﷺ.

ومن حديث أنس ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين:" جزوهم جزَّاً "؛ وأومأ إلى الحلق!

وما إن نصره الله تعالى في حنين .. إلا وينطلق بمن معه من المسلمين لمحاصرة وقتال المشركين في الطائف .. فحاصرهم أربعين يوماً!

وفي رجب من السنة التاسعة للهجرة .. يقود ﷺ بنفسه غزوة تبوك .. في قيظ شديد .. قصد بها غزو الروم .. وسُميت هذه الغزوة كذلك غزوة العسرة .. لاجتماع العسر على المسلمين: عسرة الظهر، وعسرة الزاد، وعسرة الماء، حتى أن العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم، وكان زادهم التمر المتسوس، والشعير المتغير، والإهالة المنتنة ..!

وقد سُئل عمر ﷺ عن ساعة العسرة، فقال: خرجنا في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع من العطش، وحتى أن الرجل لينحر بعيره، فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده!

فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيراً، فادع لنا. قال ﷺ:" أتحب ذلك "، قال: نعم. فرفع يديه فلم يرجعهما حتى أظلت السماء ثم سكبت فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر.

صدق رسول الله ﷺ:" والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكني لا أجد سعة فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم فيتخلفون بعدي . والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل "!

هذه بعض جوانب جهاد وقتال النبي ﷺ .. فأين المقتدون المتبعون السائرون ؟!

يا من تسألون عن المنهج والطريق .. هذا هو الطريق .. وهذا هو المنهج!

يا من تسألون عن الحل فيما نحن فيه .. هذا هو الحل واضح بين أعينكم .. لا تعلوه شبهة ولا غموض .. ولا غبار!

يا من يتشدق بالسلفية والاتباع .. ثم هو لا يعرف طعماً للجهاد والقتال في سبيل الله .. نقول له: قد ضللت الطريق .. وتشبعت بما لم تُعط .. وبما ليس فيك!

السلفيون السنيون .. والمتبعون المقتدون الصادقون .. هم المجاهدون في سبيل الله!

يا من يستخف بالجهاد في سبيل الله .. ويستثني القتال من برامجه وتصوره وأولوياته .. نقول له: أنت تستخف بحياة نبيك المجاهد المقاتل .. وتستثني ـ من تصورك وأولوياتك ـ تاريخ وجهاد وحياة نبيك!

أعجب لأمة هذا هو نبيها .. وهكذا كانت حياته ﷺ .. ثم هي لا تنهض ـ بشيبها وشبابها ـ للجهاد والقتال في سبيل الله ..!

أعجب لأمة هذا هو نبيها .. وهكذا كانت حياته ﷺ .. ثم يتجاسر عليها العدو الكافر بالعدوان والاستيلاء على البلاد والعباد!

أعجب لأمة هذا هو نبيها .. وهكذا كانت حياته ﷺ .. ثم تشكو ضياع الحقوق وانتهاك الحرمات!

أعجب لأمة هذا هو نبيها .. وهكذا كانت حياته ﷺ .. ثم يوجد فيها طاغوت يهنأ بالعيش والحياة من غير مقاومة ولا جهاد ولا قتال ..!

أعجب لأمة هذا هو نبيها .. وهكذا كانت حياته ﷺ .. ثم يوجد كفر في أطراف الأرض .. وهي لا تأطره إلى الحق أطراً!

أعجب لأمة هذا هو نبيها .. وهكذا كانت حياته ﷺ .. ثم يوجد ظلم وإجرام في أطراف الأرض .. وهي لا تأخذ على يديه بالضرب والزجر والتأديب!

أعجب لأمة هذا هو نبيها .. وهكذا كانت حياته ﷺ .. ثم تكون الكلمة في الأرض للذين كفروا وأشركوا!

أعجب لأمة يقول نبيها:" والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل "، ثم هي ترضى بحياة الدعة والخمول .. ولا تعشق الجهاد والقتال في سبيل الله!

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾المائدة:54.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد المنعم مصطفى حليمة

" أبو بصير الطرطوسي "

1434/2/29 هـ. 2013/1/12 م.

www.abubaseer.bizland.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	3
مقدمة	4
الإعداد أنواعه، حكمه، أهميته	5
لماذا الجهاد في سبيل الله (الجزء الأول)	14
لماذا الجهاد في سبيل الله (الجزء الثاني)	54
هكذا كانت حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم	63

كتب للمؤلف

* الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية
* دفتر الثورة والثوار
* خواطر وأفكار في فقه الدعوة إلى الله
* المنهج في الطلب والتلقي والاتباع
* مصطلحات ومفاهيم شرعية يجب تصحيحها
* أحكام ومسائل رمضانية
* الزواج والطلاق في الإسلام، مسائل وأحكام
* دراسة نقدية لكتاب " هكذا علمتني الحياة "
* صيد القلم " قطوف وخواطر "
* حِكَم وفوائد جاد بها الخاطر
* البلاء أنواعه ومقاصده
* فقه الاختلاف عند أهل السنة وأهل البدع
* صراع الحضارات مفهومه، وحقيقته، ودوافعه
* من دخل ديار غير المسلمين بعهد وأمان ...
* الجهاد والسياسة الشرعية، مناصحة ومكاشفة
* الغلام والمِلك
* مبادرة الجماعة الإسلامية المصرية ...
* هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه
* الهجرة مسائل وأحكام
* ملاحظات وردود على رسالة " مجمل مسائل الإيمان العلمية في أصول العقيدة السلفية "
* القانون الإسلامي
* أعمال تُخرج صاحبها من الملة
* شروط لا إله إلا الله
* تهذيب شرح العقيدة الطحاوية
* الانتصار لأهل التوحيد ...
* الطاغوت
* تنبيه الغافلين إلى حكم شاتم الله والدين
* صفة الطائفة المنصورة ...
* العذر بالجهل وقيام الحجة
* حقوق وواجبات شرَعها الله للعباد
* الطريق إلى استئناف حياة إسلامية ...
* الاستحلال
* حكم تارك الصلاة
* حكم الإسلام في الديمقراطية ...
* لمن الحكم
* مجموع الفتاوى
* رسائل في الإعداد والجهاد
* الشيعة الروافض طائفة شركٍ وردة
* قواعد في التكفير
* مذكرة في طلب العلم
* تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين